إبراهيم الجمل

الخطابة المعاصرة

للجمعة - والعيدين - والمناسبات - وعند القبر

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م

مكتبة الإيمان بالمنصورة

تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

ونشهد أن لا إله إلا الله: الملك الحق المبين.

ونشهد أن محمداً رسول الله الصادق الوعد الأمين.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وعلى ذريته وآل بيته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون﴾.

﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾.

أما بعد:

فما زال للمنبر قداسته ومكانته، إذ الواقف عليه يعمل عمل الأنبياء.

والوعظ من أشرف وسائل الدعوة، فلقد أضافه الله إلى نفسه فقال:

﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين﴾.

وسمى الله القرآن موعظة لما فيه من المواعظ التى تأخذ بالألباب فقال:

﴿يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾.

وقال نبى الله نوح عليه السلام لولده: **﴿إنى أعظك أن تكون من الجاهلين﴾.**

وقال قوم هود لنبى الله هود: **﴿ سواء علينا أوعظت أم لن تكن من**

الواعظين﴾ .

وقال تعالى : **﴿ وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون﴾** .

والمسلمون اليوم، فى أشد الحاجة إلى الوعظ والإرشاد، وإطالة الكلام فى الترغيب والترهيب، والإنذار والتعريف بأحوال الأمة، وما يحاك بها وما يدبر لها .

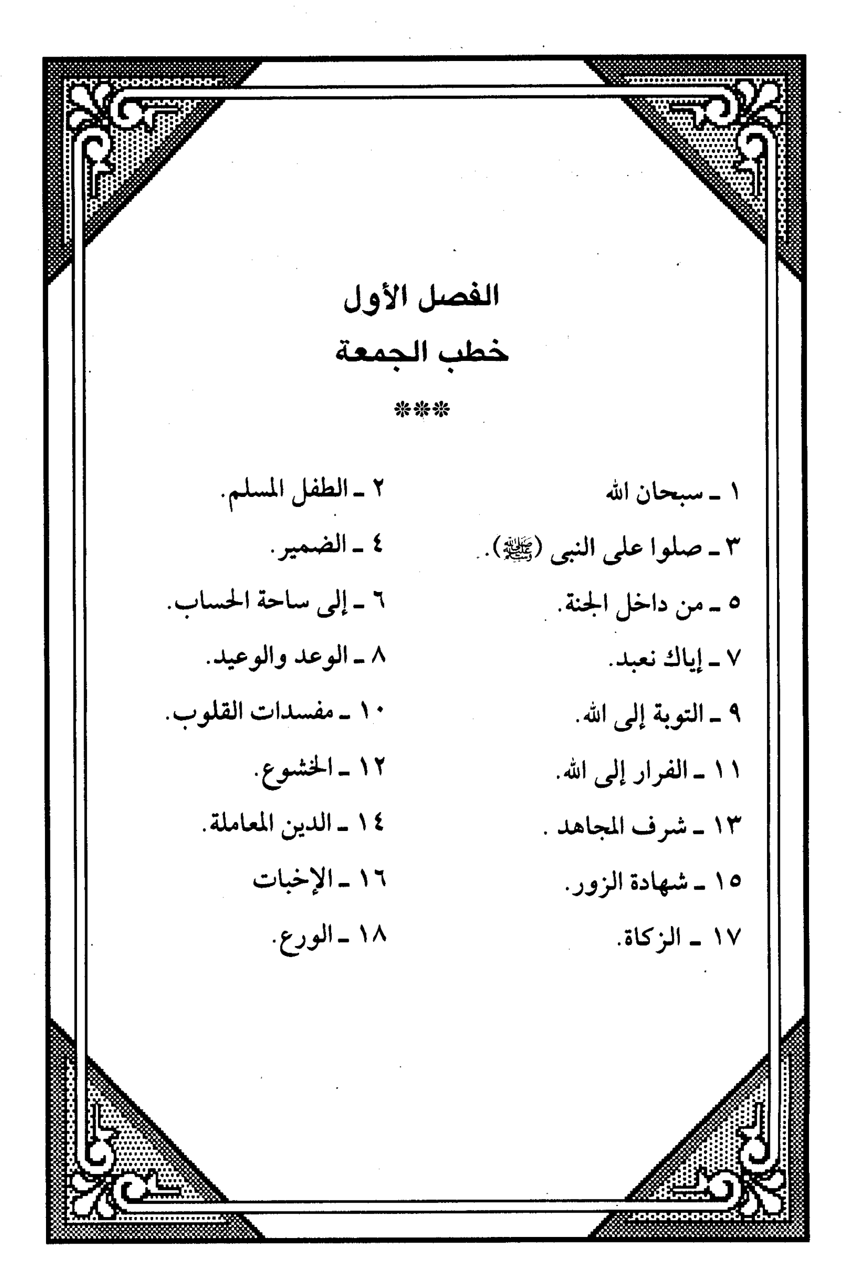
فرأيت أن أضيف إلى ما سبق من الخطب عملاً بعد أكثر من عشر سنوات رأيت أن الحاجة تدعو إليه .

وقد راعيت فيه طول الخطبة حتى يستطيع الواعظ فهمها ومعرفة عناصرها ثم إلقائها بنفسه دون القراءة .

أسأل الله رب العالمين أن ينفع بها، وأن يجعل ذلك فى صحائف أعمالى، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

إبراهيم محمد الجمل

غرة رمضان ١٤١٤ هـ



الفصل الأول
خطب الجمعة

***

١ ـ سبحان الله

٢ ـ الطفل المسلم.

٣ ـ صلوا على النبى (ﷺ).

٤ ـ الضمير.

٥ ـ من داخل الجنة.

٦ ـ إلى ساحة الحساب.

٧ ـ إياك نعبد.

٨ ـ الوعد والوعيد.

٩ ـ التوبة إلى الله.

١٠ ـ مفسدات القلوب.

١١ ـ الفرار إلى الله.

١٢ ـ الخشوع.

١٣ ـ شرف المجاهد .

١٤ ـ الدين المعاملة.

١٥ ـ شهادة الزور.

١٦ ـ الإخبات

١٧ ـ الزكاة.

١٨ ـ الورع.

١ ـ سبحان الله

الحمد لله بارىء النسم، ومجرى النعم، وهو العليم الحكيم، بعباده هو الرحمن العليم الخبير أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، سبحانه الواحد الأحد، الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد.

وأشهد أن لا إله إلا الله: وسع كرسيه السماوات والأرض، ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم، فالأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء يحى ويميت، فعال لما يريد.. هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وأتباعه الذين اتقوا الله حق تقاته، وعرفوه بالنظر فى آياته، والتأمل فى مخلوقاته، فنالوا من المجد أعلاه ومن العز أسماه، وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد.

أما بعد:

فقد قال المولى عز وجل: **﴿تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾**[١].

وقال: **﴿تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾**[٢].

أيها الموحدون:

إن الإسلام «دينكم الحنيف» قد دعاكم إلى التأمل فى آيات **الله**، وإعمال الفكر والعقل فى قدرة الخلاق العظيم، ثم العودة إلى إعمال النظر ثانية وثالثة **﴿فارجع البصر هل ترى من فطور﴾**[٣]. ففى ذلك حياة للقلوب وتهيأة للأبدان وتعويد لها على ذكر الرحمن.

ومن آيات الله البينات التى يعيش بينها الناس، ويغفل أكثرهم عنها الشمس والقمر: فهما من آيات الله فى كونه الفسيح وملكه العظيم، وقد سخرهما الله فى

---

(١) سورة الملك: ١ ـ ٢.   (٢) سورة الفرقان: ٦.   (٣) سورة الملك: ٣.

كونه لجلب النفع على العباد، والمصالح على البلاد..

يقول الله تعالى: **﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر النجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾**[1].

وفى هذا التسخير والتذليل من المولى عز وجل لما يراد منها من طلوع وغروب ومسير ورجوع فوائد جليلة ونعمة يزجيها المنعم جل جلاله كلما أقبل صباح، وأدبر مساء، أو تجلى نهار أو سجا ليل. برهان ساطع على أنه سبحانه خلق الخلائق بقدرته، وأسبغ عليها من عظيم نعمته..

فما أنزل الله قطر ماء من السماء،وأخرج به الحدائق الغناء، وما أجرى الفلك فى خضم البحار، وما جعل ماء الأنهار عذباً فراتاً سائغاً للشاربين، وما سير الشمس والقمر فى دأب مستمر، وما قلب الليل والنهار، وما آتى بنى آدم من كل ما سألوه إلا إنعاماً وتفضيلاً وجوداً وكرماً..

فمن قابل تلك النعماء بالشكران زاده الله منها، وأدامها عليه، ومن جحدها فهو الظلوم لنفسه الكفور بآلاء الله التى لا تعد ولا تحصى..

قال الله تعالى: **﴿الله الذى خلق السموات والأرض، وأنزل من السماء ماءً، فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين، وسخر لكم الليل والنهار. وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار»**[2].

نعم.. وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها:

فنعمة البصر وكونها عينان..

ونعمة الحس والشم وكونه أنف واحد فى وسط الرأس..

ونعمة البطن واليد..

ونعمة السماع..

ونعمة اللسان والكلام..

ونعمة الطعام..

ونعمة الإيمان..

ونعمة الرفق على الأبناء..

---

(١) سورة البحل : ١٢ .

(٢) سورة إبراهيم.: ٣٢ ـ ٣٤ .

وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . .

ومن فضله سبحانه أن جعل آية النهار ذات ضياء يبهر الأنظار، ويملأ الأجسام دفئاً وحرارة، وحركة وحيوية، وهمة ونشاطاً، وجعل آية الليل نوراً هادئاً لا يزعج من استنار به، ولا يقلق من نام تحت شعاعه، وقدر لها منازلها، ففى كل يوم تنزل منزلاً بحساب معلوم، وجريان مقدور، لنعلم الأيام والشهور، والسنين والدهور، وندرى أزماننا، وما نمضيه من أعمارنا، فنأخذ من ماضينا عبرة لحاضرنا، ومن حاضرنا نصنع أمجاد مستقبلنا . .

يقول الله تعالى : **﴿هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾**[1] .

أيها المؤمنون:

إن كان الإنسان أعجز من أن يعرف نفسه، فكيف يعرف حقيقة الله؟ . .

إنما يستطيع أن يلمح شعاعاً من عظمة الوجود الأعلى عندما يتدبر فى الكون ويتعرف على عظمة الخالق من عظمة المخلوق، وهذا هو ما انفرد القرآن الكريم به، فليس فى الدنيا كتاب كالقرآن تحدث عن الملكوت وآفاقه، وعن المادة وأسرارها، وعن القوانين التى تحكم هذا العالم ثم من خلال هذا عرَّف الناس بربهم!!

هذا شىء لم يعرف فى كتاب دينى ولا مدنى قبل كتاب محمد ﷺ:

﴿الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾[2] .

﴿إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت، ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون. فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم﴾[3] .

نظرة فى الكون **﴿فالق الحب والنوى﴾** من نواة ترميها بأصبعك على الأرض فتتدخل القدرة العليا فى هذه النواة، فإذا نخلة تتكون يصعد عليها عدة أشخاص فتحملهم!!

من فالق النواة عن هذه النخلة؟!!

---

(١) سورة يونس: ٥ . (٢) سورة الأنعام: ١ . (٣) سورة الأنعام: ٩٥ ، ٩٦ .

ومن فلق الحبة عن هذه السنابل ولوز القطن وغير ذلك!!؟

وهذا من عجائب الكون فى الزراعة وحدها.

نظرة أخرى ﴿**فالق الإصباح**﴾ الضوء يشق الظلام، وكيف يشق الضوء الظلام؟ أثر أصابع القدرة وهى تدفع بالكواكب شرقاً وغرباً، وتحرك هذا الكون الذى وصفه فلكى كبير بأنه كون راقص!!

كل شىء فيه يتحرك، ومع الحركة شروق وغروب، ومع هذه الحركة ينفلق الليل عن الصبح وتظهر الصحوة الكبرى!!

هذا نموذج فى كتاب مشحون بالكلام عن الكون.

أغرب ما يؤسف الإنسان أن الكتاب المشحون بالكلام عن الكون، وأن الكتاب الذى قال لأتباعه: هذا الكون يدل على الله، وهو فى الوقت نفسه مسخر لكم، ترتفقونه وتنتفعون بخيرات الله الظاهرة والباطنة فيه:

﴿**ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة**﴾[1].

كان المفروض أن يكون المسلمون أسبق الناس إلى غزو الفضاء بتوجيهات هذا الكتاب!

ولكن المسلمين سكروا بخمرة السلطة حيناً، وخمرة الترف والدنيا المقبلة حيناً، وخمرة الغفلة والغباء فى فهم النصوص حيناً، وخمرة السطحية التى تأخذ بظاهر الألفاظ دون التعمق فيما وراءه من معانى حيناً..

وكل هذه الخمور جعلت الأمة الإسلامية فى وضع تنظر فيه إلى غزاة الفضاء وكأنهم جن!!

بل بعضهم يستنكر أو يستغرب لأنه لا يدرى عن الكون شيئاً ولم لا يدرى عن الكون شيئاً؟!! لأنه لا يعرف عن الكتاب شيئاً إنه لا يدرى عن القرآن شيئاً، ذلك الكتاب الذى فجر الطاقة الإنسانية فى البشر هذا الكتاب ذهل عنه أهله.

أيها المؤمنون: ومازال المؤمنون فى غفلة تامة وسبات عميق..

---

(١) سورة لقمان: ٢٠.

فوالله: إذا مرت السنون على المسلمين دون أن يستيقظوا فإنهم سيذبحون.

فمن طبائع النفوس أنها تنسى، بينما غيرنا يذكر، مع أن الله تعالى قد خلق الليل والنهار وبين أنه جعلهما يتعاقبان ليختبر الذاكر من الناسى والشاكر من الجاحد.. قال تعالى:

﴿وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً﴾(1).

وقوله: **﴿خلفه﴾** أى يخلف أحدهم الآخر، وقصة الحياة يريد الله أن يبين فى خواتيمها من الذى ذكر؟ ومن الذى نسى؟ من الذى شكر؟ ومن الذى كفر؟

والناس فيما رأينا ونرى نوعان.. نوع يعيش لنفسه، لجسده، وإذا امتدت حياته الجسدية فى أولاده فهو يعيش لنفسه ولأسرته ويكفيه هذا، ما يفكر فى أفق أبعد، ولا غاية أشرف إنه أشبه بحيوان مهذب!! رزق العقل فهو يسخر عقله فى خدمة هذه المآرب التى جعلها فى الحياة هدفه، وجعلها فى الوجود قيمته ومثله الأعلى!! بينما يوجد ناس لا يعيشون لأنفسهم على هذا النحو الضيق المشوه التافه، بل يعيشون لربهم، يوم يعيشون لربهم فإن ربهم يكفل لهم مصالح أنفسهم بأرقى وأجدى مما لو سخروا هم عقولهم وعزماتهم فى خدمتهم أنفسهم!!

هناك ناس يقارنون بين دينهم، صلاة، وزكاة، وحج، وجهاد، أمر بمعروف ونهى عن منكر، وإغماض للبصر من عورة مفضوحة أو سوأة مكشوفة!!

إنه يفكر ويوازن، وكل امرئ لابد وأن يوازن، لأنه يوماً يواجه الاختيار أيعيش لشهواته القريبة ويومه الحاضر ودنياه العاجلة، أم يعيش لربه ولغده ولشرف نفسه، وزكاة روحه ونبل مستقبله، كل إنسان يوماً يوازن، وبعض الناس على عجل يطرح نداء الحق، ويصمُّ أذنه عنه، ويستمع إلى نداء العاجل القريب..

أيها المؤمن..

ويوم يكون بقاؤك فى بيتك أحظى لديك من جهادك لربك، يوم يكون حرصك على مصلحتك أقرب إلى ضميرك من حرصك على دينك فقد خسرت الدنيا والآخرة..

يقول رسول الله ﷺ: «**البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان**».

(1) سورة الفرقان: ٦٢ .

وفى الحديث «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**» اهـ.

***

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى..

وسلام على الذين اصطفى..

وأشهد أن لا إله إلا الله: الملك الحق المبين.

وأشهد أن محمداً رسول الله الصادق الوعد الأمين..

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين..

أما بعد:

أيها المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد..

إن التوحيد حقيقة الإسلام الأولى وخاصته التى تفرد بها، وعقيدة التوحيد هى الشارة التى تميز المسلمين باعتناقها، والراية التى عرفوا بالجهاد دفاعاً عنها، وتمكينا لها، قال تعالى: ﴿**وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم**﴾(١).

وقال: ﴿ **الله لا إله إلا هو الحى القيوم**﴾(٢).

والاتصال بالإله الواحد معروف فى أعصار كثيرة، وفى أقطار كثيرة إلا أنه اتصال مضطرب جداً فى بعض الأديان، ومضطرب اضطراباً خفيفاً فى بعض آخر، فإن عبدة الأصنام ما يزعمون أنهم منكرون للإله الواحد، إن الذين عبدوا اللات والعزى ومناة.. إن أبا سفيان عندما قال فى غزوة أحد:

أعل هبل، إن الوثنيين الذين أشركوا مع الله آلهة أخرى كانوا إذا سئلوا﴿**من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم**﴾(٣).

كانوا مشركين ولكنهم يؤمنون بالله الواحد، فإذا سألتهم: ما هذه الآلهة التى اختلقتموها مع الله؟ قالوا: ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾(٤).

ويجادلهم القرآن جدالاً حسناً: ﴿**قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن**

---

(١) سورة البقرة: ١٦٣.
(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.
(٣) سورة الزخرف: ٩.
(٤) سورة الزمر: ٣.

ملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى، ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾[2].

مشركون ولكنهم يقولون فى الإجابة على هذه الأسئلة كلها «الله». **﴿فقل أفلا تتقون﴾** ألا تدعون الشرك بعد هذه الإجابة:

﴿فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون. كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون﴾[3].

أما الآن فى الدنيا ملل ونحل تنكر وجود الخالق جل وعلا، ومنهم من يعبد البقر، ومنهم من يعبد الشمس والقمر.. فأهل الجاهلية أحسن حالا من هؤلاء..

اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر..

***

---

(١) سورة يونس: ٣١.

(٢) سورة يونس: ٣٢، ٣٣.

٢ـ الطفل المسلم والأسرة المسلمة

الحمد لله رب العالمين. . بارىء الخلق، وواهب الرزق. . سبحانه جل شأنه وعظمت قوته وتعالى جده. .

وأشهد أن لا إله إلا الله: الملك الحق المبين، يقول الحق وهو يهدى السبيل، أوصى خيراً بالمسكين واليتيم. .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله وحبيبه، اصطفاه الله رحمة للعالمين، وحجة للمرشدين، ومحجة للمسترشدين، ونقمة على الكافرين، وقامعاً للملحدين. . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه أجمعين. .

أما بعد.. فقد عنى الإسلام عناية بالغة بالطفل، وأحاطه بهالة من الفيض الربانى، والرحمة التى تجعل منه فرداً إسلامياً. . إن وعى والديه الدرس وفهما مراد الحق، فكانا بحق سبباً من أسباب قيامه ونشأته على دين الحق تبارك وتعالى.

فمع هذا الطفل كيف رعاه الإسلام، وكيف حافظ على كيانه من أن يشوه أو يشوبه الكدر والغبار. . يكون حديثى معكم اليوم فى مؤتمركم الأسبوعى العظيم الذى أبدأه بقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[١].

أيها المؤمنون..

الأسرة عماد المجتمع، لأنها وحدة بنائه، ومصنعه الذى يزوده بأعضائه ويصوغهم له فى القالب السليم، الذى يجعل منهم مواطنين صالحين، وأعضاء نافعين، وفيهم تظهر آثار الأسرة وأسلوبها فى التنشئة، وأخلاقها فى تربيتهم إذا شبوا وباشروا مسؤولياتهم فى الحياة.

ولما لها من المنزلة كانت مواضع العناية من قادة الإصلاح، ومحل الرعاية من علماء الاجتماع.

وقد عنى الإسلام بها منذ ظهوره أيما عناية، تقديراً لمكانتها، وأحاطها بما يكفل لها أداء رسالتها على أحسن وجه، وأكمل صورة.

(١) سورة الروم: ٢١.

وقد وضح الإسلام للشباب الطريق السليم إلى الحياة الكريمة الحلال البعيدة عن الاعوجاج الواقية للنفس والعرض من الفواحش . . ومما حرم الله وكرهه.

فقد قال رسول الله ﷺ: «**يامعشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**» ا. هـ . . أى وقاية مما حرم الله.

ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كنت خلف النبى ﷺ يوماً فقال: «**ياغلام إنى أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**.ا. هـ[1].

ـ هذا الاهتمام البالغ لأن الشباب لكل أمة قلبها النابض، ولكل ثورة عاملها الناجح، وبسواعدهم تقوم المشروعات العملاقة والأبنية الناطحة، وبقواهم توطد المثل الإنسانية والقيم الأخلاقية.

﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ماعدهوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً**﴾[2].

إن إيمان الشباب قوة فعالة تصنع الأعاجيب، وتحقق أحلاماً طالما راودت العقول، وتصل إلى أهداف عجز عن بلوغها الضعاف المهازيل، وتطهر الأرض مما ران عليها من أدناس وأرجاس، وتسطع من حولها بذور اليقين:

﴿**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز * الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**﴾[3].

وفى اعتزار الشباب بإيمانهم يصف القرآن الكريم أهل الكهف بهذا الوصف الرائع فيقول: ﴿ **إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً**﴾[1].

ومن أجل هذا ربى رسولنا ﷺ الشباب على موائد الإيمان، وعنى بهم أيما عناية، وأسدى ذلك التوجيه الرشيد إلى كل فرد: .

دعاهم ـ فى حديث ابن عباس الذى سقناه ـ إلى أن يحفظوا الله ليحفظهم،

(١) رواه الترمذى.

(٢) سورة الأحزاب: ٢٣ .

(٣) سورة الحج: ٤٠ ، ٤١ .

(٤) سورة الكهف: ١٣ ، ١٤ .

وحفظ الله إنما يكون بالاستقامة والتقوى والسير على الجادة، والاستعانة بالله فى السراء والضراء، واللجوء إليه فى الملمات، كما ينمى فيهم روح الاعتزاز بالنفس والإخلاص فى العمل.

ولاتنسى أن نبينا وحبيبنا ورسولنا صلى الله عليه وآله وسلم قد أعطى الراية - وهى راية القيادة - لعلى بن أبى طالب يوم بدر، وكان فى سن الشباب، وأعطاها لزيد بن ثابت فى تبوك وهو فى العشرين من عمره وأعطاها لجعفر بن أبى طالب فى مؤتة وهو فى سن الثالثة والثلاثين وأعطاها لأسامة بن زيد وهو فى السابعة عشرة.

هذا.. وقد حافظ الإسلام بمنهاجه القويم وتشريعه المحكم على الأسرة كلها من أن تتمزق أو تتشتت أو يصبها الخلل والإنهاك. حتى يرعى الطفل المسلم ويشب فى أجواء نظيفة وأحياء طيبة..

من ذلك.. أن جعل للرجل حق القوامة على الأسرة. بما فرض عليه من النفقة، وكرم المرأة، فأوجب لها المهر، إعزازاً لها، وأعطاها حق الاختيار والرضا إعلاءً لمنزلتها وشرط شهر الزواج، ضماناً لجديته. وعدم النكول فيه، ووزع الحقوق والواجبات بين الزوجين، باعتبارهما دعامتى الأسرة، وشرع وسائل التحكيم والإصلاح بينهما لمعالجة مايطرأ من شقاق، كما شرع وسائل الفراق عند تعذر الوفاق، ولكن الناس انحرفوا عن هذه الحدود التى رسمها الإسلام، فمنهم من يقدم على الزواج وليس عنده ما يجعله قواماً على الأسرة، ومنهم من لا يتم زواجه على أساس العقل والحكمة، بل يحكم هواه ونزواته، ومنهم من يفرط فى حقوقه أو لا يقوم بواجباته، ومنهم من يسرع بالفراق لأتفه الأسباب، ولا يلجأ إلى وسائل التوفيق والتحكيم والإصلاح، وبذلك فشا التلاعب بالطلاق فأصيبت الأسرة بالضعف والشتات.

كما تصاب الأسرة بالتفكك لضعف شخصية الزوج، أو تصاب بالانزلاق إلى المعاصى لعصيان الأب.. وصدق الشاعر حينما قال.

إذا كان رب البيت بالدف ضارب   فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

ونتيجة لهذا: يصاب الأولاد بالانحراف، جنبنا الله وإياكم ذلك..

والانحراف هو الخروج عن أوامر الدين ومايتطلبه من الآداب والأخلاق، ولقد أصاب المجتمع من ذلك شر كثير، وضرر خطير، فلمس أثرهما، ونرى مظرهما فى اهمال تربية الطفل، وعدم العناية به، وظهور عدد من المتشردين الذين

تلفظهم الأسر على الطرقات، فتتلقفهم العصابات الإجرامية التى لا تراقب الله، ولايهمها مصالح العباد، ولا ترحم هؤلاء الصغار الذين لايفقهون ولايعلمون الفرق بين الحق والباطل وإنما هم ضحايا مجون الآباء وعصيانهم لربهم، فتتجه هذه العصابات بهم إلى النشل والسرقة، أو سؤال الناس الرزق فى الطرقات والشوارع، أو الانحراف الخلقى، حتى أصبح هؤلاء وصمة عار فى جبين الأمة، وجرحاً دامياً فى جسم المجتمع . .

كما أن فريقاً من المفسدين ينتهزون الفرصة لغواية بعض الفتيات، وخداعهن بالكلام المعسول، واللطف المصطنع، والحب الزائف الآثم، والدعوة الكاذبة الخلاقة، ونتيجة ذلك الوقوع فى الجريمة البشعة والفعلة المنكرة، التى تثمر اللقطاء الذين يلقى بهم فى الطرقات تخلصاً من عارهم، ولاجريمة لهم، فالمجرم غيرهم وهم الأبرياء والآثم سواهم وهم الضحايا المساكين.

أيها المؤمنون: إن هؤلاء الذين لفظتهم أسرهم، وأنكرهم آباؤهم، وتبرأت منهم أمهاتهم، جديرون برحمة المجتمع ورعايته، فإنهم إذا حسنت تنشئتهم، كانوا نبتاً طيباً نافعاً وإذا أهملت تربيتهم، كانوا عوامل هدم فى كيان الأمة، وفى المجتمع أسر كثيرة عظيمة تتمنى لو رزقت أطفالا، وهناك بيوت تسمح لها ظروفها أن تلحق بها هؤلاء الأطفال المحاويج، وإن مبادئ الرحمة التى أوصى بها ديننا الحنيف، وموجبات البر الذى حث عليه القرآن، تحفز القادرين على كفالة هؤلاء المحرومين من عطف الأبوة، وحنان الأمومة، لتصنع منهم شبابا صالحاً، وقد يكون فى بعضهم ذكاء ونبوغ، يسعد المجتمع، وينهض بالأمة.

أيها المؤمنون: إن التنشأة الإسلامية الصحيحة التى تقوم على أساس دينى، تجعل من الطفل رجلاً مسلماً يخدم دينه ووطنه وأهله ونفسه، ويكون بنية صالحة فى الأمة تقوم الحضارات على سواعدهم القوية.

بخلاف ما إذ نشأ على الأفلام الخليعة والمسلسلات الساقطة والأغانى التى تجلب الفسق وتزرع النفاق فى القلب . .

فاتقوا الله عباد الله وأحسنوا العمل والإخلاص لله عز وجل يجركم من عذاب أليم . . .

وتوبوا إلى الله وأنيبوا إليه.

***

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى . .

وصلاة وسلام على الذين اصطفى . .

وأشهد أن لا إله إلا الله . . الملك الحق المبين.

وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله : الصادق الوعد الأمين . .

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى وآله وصحبه أجمعين . .

أما بعد:

مام الأمة الإسلامية كثير من التحديات، فإسلامكم يحارب من الشرق والغرب . . .

ذلك : أنهم لا يريدونه . .

لأنهم يعلمون أن لهذا الدين بريق ولمعان، وله فعل السحر فى القلوب.

يقوم النفس ويهدى القلب، ويصلح الله به الأحوال.

وهم لا يريدون هكذا . .

بل يريدونها إباحية جماعية، يريدونها همجية جماعية . .

فألإسلام يكبت شهواتهم ويكبح لجمام انطلاقهم . . لذا فهم يحاربونه ويقفون له بالمرصاد . .

وذلك بيث السموم إلى عقول الأطفال متمثلة فى الإذاعات المرئية والمسموعة. والجرائد اليومية . . وحسبنا الله ونعم الوكيل . .

فاستفيقوا أيها المسلمون، وجنبوا أطفالكم هذه الإذاعات وربوهم على التقوى والإيمان وعبادة رب السماوات يجركم من عذاب أليم . .

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات . . مولانا رب العالمين.

٣ ـ صلوا على النبى ﷺ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا..

من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً..

وأشهد أن لا إله إلا الله: يقول الحق وهو يهدى السبيل..

وأشهد أن محمداً رسول الله: أشهد أنه خاتم الرسل وأفضل الأنبياء، وأشهد أن كلامه حق ورسالته حق، وكتابه حق.. وأشهد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك ولا يتبعها إلا كل منيب سالك.. فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل، وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار..

وما قل وكفى خير مما كثر وألهى.. وإن ماتوعدون لآت وما أنتم بمعجزين..

ثم أما بعد:

فقد أمر الله المؤمنين أن يصلوا على النبى ﷺ واعتبرها من أصول الأذكار بل من أعظمها وسنعيش اليوم فى مؤتمركم الأسبوعى العظيم حول الصلاة والسلام على سيد الأنام صلى الله عليه وآله وسلم..

وأبدأ حديثى بقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى، ياأيها الذين آمنوا صلو عليه وسلموا تسليماً﴾.

أيها المؤمنون: أحباب الحبيب المصطفى محمد.

الصلاة على النبى ﷺ ذكرٌ لسانى بتلاوة لفظها، وقلبى بتدبر معانيها ومثمرة لرسوخ الإيمان وشدة المحبة وتمام التعظيم له ﷺ المثمرين لاتباعه، المحصل لمحبة الله عبده، وتلك غاية سعادة المخلوق ونهاية كماله.

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ .

والصلاة فى لسان العرب قبل الإسلام وردت بمعنى الدعاء، قال الأعشى:

عليك مثل الذى صليت فانقضى نوماً فإن لجنب المرء مضجعاً

أى دعوت. فالدعاء هو معناها اللغوى الأصلى وعليه جاءت كلمات كثيرة فى الكتاب والسنة فمنها: **﴿ وصلوات الرسل﴾** أى دعواته: **﴿ وصل عليهم﴾** أى ادع لهم، وحديث: «**إذا دعى أحدكم لطعام فليجب فإن كان مفطراً فليطعم وإن كان صائماً فليصل**».

والصلاة على النبى(ﷺ) من أذكار الصلاة، ولكنها لم تشرع يوم شرعت الصلاة بمكة بل كانت مشروعيتها بعد بضع سنوات من الهجرة، وذلك يوم نزلت آية الأمر بها من سورة الأحزاب وهى سورة مدنية .

فقد روى الإمام الترمذى وغيره عن كعب بن عجرة لما نزلت: **﴿إن الله وملائكته ﴾** الآية قلنا: يارسول الله قد علمنا السلام فكيف الصلاة، فعلم حينئذ كيفيتها. .

وقوله تعالى: **﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾** هو آية الأمر بالصلاة على أبلغ أسلوب وأكمل وجه فى الترغيب فمن التأكيد للأمر التوطئة له بجملتين: الجملة الاسمية المصدرة بحرف التأكيد، والجملة الفعلية الندائية ، ومن أعظم الترغيب فى امتثال هذا الأمر جعل امتثاله اقتداء بالله وملائكته.

وفى عطف الملائكة عليه تعالى تنبيه على ثمرة الامتثال والاقتداء وهى نيل أشرف المنازل العليا، فإن الملائكة ـ عليهم السلام ـ بامتثالهم أمر ربهم واقتدائهم به ـ جل اسمه فى الصلاة على أكرم خلقه ﷺ ـ نالوا شرف اقتران اسمهم باسمه، وفى هذا وراءه من الشرف والسعادة مافيه.

وقوله تعالى **﴿يصلون﴾** على معناه اللغوى الأصلى وهو الدعاء، غير أن الملائكة يدعون ربهم له صلى الله عليه وآله وسلم.

فإن تساءل متسائل فلماذا قال: **﴿على النبى﴾** ولم يقل على الرسول، والنبى

ﷺ رسول الله بل خاتم الرسل وقد قال الله تعالى فى موضع آخر :﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل عليك من ربك**﴾..

أجيب عن هذا.. بأن الرسول هو المبعوث لأداء الرسالة من الخالق إلى الخلق، فالجانب الأول الأساسى لمعناه يرجع إلى معنى التلقى والأخذ عن الذى أرسله، والنبى هو المخبر المبلغ للرسالة إلى الخلق من الخالق، والجانب الأول الأساسى لمعناه يرجع إلى معنى إعلام الخلق وإرشادهم وهدايتهم بما جاء به من عند خالقهم، فاختير اسم النبى هنا على اسم الرسول لوجهين:

الأول: التنبيه على أنه قام بأعباء الرسالة وبلغ الأمانة ونصح الأمة ونفعهم فجزاه الله على هذا العمل العظيم بهذا الجزاء العظيم.

الثانى: أنه بذلك التبليغ قد جلب للمؤمنين أعظم النفع وأكمل الخير وهو سعادة الإيمان فى العاجل والآجل، فمن بعض حقه عليهم أن يقوموا ـ لتعظيمه وتكريمه ـ بالصلاة عليه، فتكون صلاتهم عليه ـ وهى سبب أجر عظيم ونفع كبير لهم ـ كالجزاء لعظيم إحسانه والاعتراف بجزيل جميله.

فاسم«النبى» بهذين الوجهين ـ أنسب بالمقام، وأدخل فى التأكيد والترغيب، ولهذا اختير.

وقول الله تعالى:﴿ **وسلموا تسليماً**﴾أمر ثان معطوف على الأمر الأول، فيفيد النسق طلب الجمع بين مدلوليهما فى الامتثال، ولذا كره العلماء أفراد الصلاة عن السلام.

أيها المؤمنون: لما سمع الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ الأمر بالصلاة على النبى ﷺ من الآية المتقدمة فهموا أنهم أمروا بالدعاء له؛ لأن الدعاء هو معنى الصلاة لغة كما قدمنا..

الأول: علمهم بكمال حال النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ورفعة مقامه عند ربه وجزيل إنعامه لديه ـ فلم يدروا ماهو النوع الأكمل من الإنعام اللائق بمنصبه الرفيع ليدعوا له به.

الثانى: أن ألفاظ الدعاء كثيرة، وصفاتها مختلفة فما هو أنسبها بمقامه الشريف؟

الثالث: إن الصلاة عليه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أمر تعبدى، والعبادات لا سبيل إليها إلا التوقيف، وأكد لهم هذا أن الصلاة قد قرنت بالسلام وقد تقدم لهم التوقيف فى السلام فتوقعوا مثله فى الصلاة.

فلما أشكل عليهم الأمر طلبو منه ﷺ البيان.

ـ ففى حديث أبى حميد الساعدى قالوا: يارسول الله؛ كيف نصلى عليك؟ فقال: «**قولوا: اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**».

ـ وفى رواية أبى مسعود الأنصارى فى الموطأ وصحيح مسلم قال: أتانا رسول الله ﷺ فى مجلس سعد بن عبادة. فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلى عليك يارسول الله، فكيف نصلى عليك؟ قال: فسكت رسول الله ـ ﷺ ـ حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال قولوا: «**اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتكم**».

***

أيها المؤمنون : أحباب الحبيب المصطفى محمد..

والصلاة على النبى المختار ﷺ واجبة مرة فى العمر، وذهب الشافعى إلى وجوبها فى التشهد الثانى من الصلاة، وقيل: بوجوبها عند ذكره، وثبت الترغيب فيها أثر حكاية الأذان ويوم الجمعة وليلتها عند الدعاء ثم ماشاء حسب الطاقة.

ويقصد المصلى بصلاته امتثال أمر الله ورجاء ثوابه والتقرب إليه بذكر نبيه على وفق أمره، وقضاء بعض حقه والمكافأة بقدر جهدنا لبعض إحسانه، وإظهار تمام المحبة فيه والاحترام له وصحة العقيدة فى دينه.

وصيغ الصلاة كثيرة والأمر فيها واسع وأرفعها قدراً وأعظمها نفعاً هى الصيغة التى قالها النبى ﷺ لأصحابه وقد سألوه ـ فى معرض البيان ـ وبيانه لهم بيان لجميع الأمة بعدهم، وهو أعلم الناس بما ينفع وأحرص الناس على جلبه لأمته فلا أنفع ولا أرفع مما جاء به من عند ربه، واختاره لأمته ، والأكمل أن يحفظ الصيغة النبوية بروايتها ويستعملها مرة برواية ومرة بغيرها حتى يكون قد استعملها كلها ولو اقتصر على بعضها لكان كافياً.

وعند ما يأتى بالصلاة النبوية بإحدى رواياتها يحافظ على لفظها بدون زيادة شىء من عنده عليها ولا أنه ينقص شيئاً منها، لأن الصيغة الواردة توقيفية متعبد بها، والتوقفى فى العبادات يؤتى بنص لفظه بلا زيادة ولاتنقيص ولا تبديل.

وأصل هذا حديث البراء بن عازب فى الصحيح لما قال: «وبرسولك الذى أرسلت» قال له النبى ﷺ: بلفظ الرسول على تقاربهما؛ لأن الصيغة متعبد بها، والحديث فى باب « إذا بات طاهراً، من كتاب الدعوات من صحيح البخارى.

أيها المؤمنون:

وقد ورد فى فضل الصلاة على النبى ﷺ الكثير من الأحاديث والآثار التى ترغب فى الإكثار من الصلاة والسلام عليه وصلى الله على آله وسلم منها.

ـ فقد قال النبى ﷺ: « **ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب**» ا هـ[1].

أى لما فاتهم من الأجر والثواب، وإن دخلوا الجنة للثواب على أعمالهم مع تفضل الله سبحانه عليهم بدخولها.

فإنه قد فاتهم مافيه زيادة فى الدرجات، وكثرة فى المثوبات، ولهذا كان عليهم حسرة يوم القيامة.

ـ وقال ﷺ: « **أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىّ صلاة**».

أى أولاهم بشفاعتى وأحقهم بالقرب منى أكثرهم علىّ صلاة فى الدنيا، لأن هذا الذى استكثر من الصلاة على النبى ﷺ قد تقرب بقربة مرضية، وهذه مكافأة من رب العزة سبحانه مستلزمة للثواب الأكثر.

ـ وقال ﷺ: « **أتانى مَلَكَ فقال يامحمد: إن الله يقول أما يرضيك أنه لا يصلى عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشراً، ولايسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشراً** » ا . هـ.

ـ وقال ﷺ: « **من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل: اللهم صلى على محمد النبى الأمى وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**» أ. هـ.

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذى وابن حبان.

ـ وقال ﷺ: « **من صلى على محمد وقال: اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتى** » أ هـ.

فأكثروا من الصلاة والسلام على النبى ﷺ أيها المؤمنون، وخاصة يوم الجمعة، فقد ثبت أن الصلاة على النبى ﷺ يوم الجمعة تعرض عليه، فلما سئل عن ذلك، كيف وقد أرمت، أى بليت، قال: «**إن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء.**» فصلى الله عليك وسلم وبارك عليك وعلى آلك وصحبك أجمعين.

أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم.

***

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى..

وسلام على عباده الذين اصطفى..

وأشهد أن لا إله إلا الله: الملك الحق المبين.

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الصادق الوعد الأمين.

أما بعد:

فهناك مظاهر نراها فى حياتنا الإسلامية.. منها ما يجرف بالمسلم فى الوقوع إلى اقتراف البدع، فمعلوم أن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

فمظهر الصلاة على النبى ﷺ كسائر الأذكار هو اللسان وثمرتها فى الأعمال، ومنبتها هو القلب، فليحذر المصلى من الغفلة عند جريان الصلاة على لسانه.

والصلاة النبوية صيغة تعبدية فليحذر من اللحن فيها.

وجاء وعيد فيمن تركها عند ذكر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فليحذر من تركها عنده وخصوصاً من اعتاد تركها.

وقد اعتاد بعض الناس أن يقول للغاضب إذا أشتد غضبه«صلى على النبى» وهذا وضع لها فى غير محلها وتعريض للاسم الشريف إلى ما لا يليق من قد يكون عند جنون الغضب من تقصير أو سوء أدب.. فليحذر من هذا. وقد

جرت عادة بعض الناس فى ليال معينة أن يرفعوا أصواتهم مرة على مرة « الصلاة على النبى» فتجيبهم النساء من وراء الحجاب يرفع أصواتهن بالزغاريد حتى يرتج المكان، ومن أبشع المنكر أن تستعمل عبادة من أشرف العبادات فى إثارة هذه المعصية النسائية، فليحذر من ذلك . .

هذا وقد هجر بعض الناس الصلاة النبوية التوقيفية واقتصروا على غيرها، وزاد بعضهم فقال: أن غيرها أنفع منها، فليحذر من هذا الهجر ومن هذا القول، فمحمد ﷺ أنفع الخلق وأرفعهم، وفعله أرفع الأفعال وأنفعها وقوله أرفع الأقوال وأنفعها، فليجعل أصل صلاته الصلاة النبوية المروية وليجعل بعدها ماشاء الله.

فاللهم صل على النبى محمد ﷺ فى الأولين، وصلى عليه فى الآخرين، وصل عليه فى الملأ الأعلى إلى يوم الدين.

يارب صل على النبى محمد   واجعله شافعنا بفضلك فــى غدٍ

فلقد عرفتك منعماً متفضـلاً   ولذا دعوتك فاستجب لى سيدى

اللهم إنا نسألك ربنا - رب العالمين أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا، وذهاب همومنا وغمومنا، اللهم ذكرنا منه ما نسينا وعلمنا منه ماجهلنا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولاتسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يخشاك ولا يرحمنا . .

اللهم اجمعنا مع حبيبك المصطفى ﷺ فى رياض الجنة، اللهم اسقنا من حوضه شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبداً . .

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، يعظكم لعلكم تذكرون﴾.

***

٤ ـ الضمير

إن الحمد لله . .

يا رب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك . .

أحمدك ربى حمد الشاكرين، وأتوب إليك، وأستغفرك، وأسألك من كل خير سألك به نبيك وحبيبك محمد ﷺ، وأعوذ بك من كل شر استعاذ به نبيك وحبيبك محمد ﷺ.

وأشهد أن لا إله إلا الله . . هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . .

سبحانه . . كل يوم هو فى شأن . .

يقبل تائباً، ويعطى محروماً، ويغيث لهفاناً، ويفقر غنياً، ويغنى فقيراً ويرحم مسكيناً، ويهدى عاصياً، ويشفى مريضاً، ويقسم جباراً ،ويهلك ظالماً ويعين عادلاً، ويرفع أقواماً، ويخفض آخرين، ما للعباد عليه حق واجب، إن عذبوا فبعدله . . وأن نعموا فبفضله، وهو الكبير الواسع.

العز فى طاعة الله مولانا   وليس ملكاً ولا جاهاً وسلطاناً

وأشهد أن محمداً رسول الله : ابتعثه الله رب العالمين رحمة للعالمين، وإماماً للأنبياء والمرسلين، وسيداً للأولين والآخرين، وقامعاً للملحدين، ونقمة على الكافرين وحجة للمرشدين، ومحبة للمسترشدين، صلى الله عليه النبى الأمى الذى علم المتعلمين والرسول الذى بعث الأمل فى قلوب اليائسين، والهادى الذى قاد سفينة العالم الحائرة فى خضم المحيط، ومعترك الأمواج إلى شاطئ الله رب العالمين.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾.

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ .

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار وماقل وكفى خير مما كثر وألهى وإن ماتوعدون لآت وما أنتم بمعجزين.

ثم أما بعد:

فإذا ما سرت اليوم وتجولت بين قلوب الناس فقدت شيئاً نفيساً كنت تجده بالأمس،

حتى أنها أصبحت ظاهرة.. تحزن القلوب وتدمع لها العيون..

إنه الضمير.. الذى غاب عن واقعنا.. أردت أن يكون حديثى إليكم اليوم فى مؤتمركم الأسبوعى العظيم هو سلطان الضمير.. الذى أبدأه بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾.

أيها المؤمنون:

- عن وابصة رضى الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد ألا أدع شيئاً من البر والإثم إلا سألت عنه، فقال لى: «**ادن يا وابصة**»، فدنوت، حتى مست ركبتى ركبته، فقال: «**يا وابصة، أخبرك بما جئت تسأل عنه**»، قلت يارسول الله، أخبرنى ، قال: «**جئت تسأل عن البر والأثم؟**». قلت : نعم.

قال وابصة: فجمع أصابعه الثلاث فجعل ينكت بها فى صدوى ويقول: «**ياوابصة، استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ماحاك فى صدرك وتردد فى الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك**» رواه الإمام أحمد فى مسنده.

أيها المؤمنون:

هذا صحابى جليل يسمى «وابصة» يفد على مجلس الرسول ﷺ وقد طوى فى نفسه سؤالاً يريد أن يقف به على الحد الفاصل بين الخير والشر، بين البر والإثم، لتتفتح أمامه مجالات كل منهما فيقبل بكل نفسه على مرضاة الله، وينأى عن معاصيه، وقبل أن ينطق الصحابى بكلمة، استشف الرسول الكريم مايعتمل فى

نفسه، وقرأ بنور الله ما يجول بخاطره، فقال له: أدن منى ياوابصة، لأخبرك بما جئت تسأل عنه، جئت تسأل عن البر والإثم، فقال وابصة: نعم. وهنا جمع الرسول ﷺ أصابعه الثلاث، وجعل ينكت بها فى صدر هذا السائل لينفتح قلبه، وليتحول صدره بهذه الدقات اللطيفة، إلى جهاز استقبال دقيق، ليستوعب فيض الحكمة، ويستقبل تيار الوحى فى وعى وإدراك ويعقل معنى قول الرسول ﷺ:

« **ياوابصة، استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ماحاك فى النفس وتردد فى الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك**».

ورسول الله ﷺ منار هداية، وداعية خير، وصاحب رسالة، وحامل مشعل السماء يرسل منه الضياء إلى آفاق الدنيا، ومن ثم فهو دائب الحرص على أن يكثر فى الناس حملة الضمائر النظيفة، والنفوس اللوامة، والإرادة التى تتغلب على نوازع الهوى، ودوافع الشهوة، وبذلك يرتفع المؤمنون إلى مستوى الأبرار، الذين يصبح وجوههم مادة الحياة، وغذاء الإنسانية، ومنحة السماء إلى الأرض.

وإلى هذا الحديث الشريف، يؤكد أن كل مولود يولد على الفطرة ـ فطرة الله التى فطر الناس عليها ـ وفى هذه الفطرة تكمن قوة ربانية نورانية، تهدى صاحبها تلقائياً إلى الحق، وتوجه أحاسيسه ووجدانه إلى الخير، وبها يستطيع أن يميز بين الخبيث والطيب، وبين الحلال والحرام.

وهذه القوة أو هذه البديهة تخلق معنا، وتنمو معنا، ولكنها كأية غريزة فينا، تحتاج إلى زاد تستمد منه بقاءها ونورها، وهذا الزاد هو ماجاءت به الأديان السماوية وبلغه الرسل إلى الناس.

فالضمير تابع لوسائل التربية الخلقية التى توجهه، وتحفظ له صلاحيته فإذا كانت نابعة من وحى الله، أصبح بها الضمير قائداً حكيماً، يرشد إلى مواطن الخير ويتنكب بصاحبه عن مواطن الزلل، يقول الله تعالى: ﴿**فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا**﴾[1] ويقول سبحانه: ﴿**ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق، ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله**﴾[2].

فإذا كان الضمير هو الباعث على الخير، والحفيظ عليه، فإن الدين قد جاء يحيى الضمير من غواش النفس الأمارة بالسوء، ويضع له أعلاماً يبين له مدى

(١) ١٣٥: النساء. (٢) ٢٦: ص.

ماهو خير، ومدى ما هو الشر، ويعمل على إيقاظه وبعثه، حتى لا تأخذه سنة ولاغفوة، ويعطيه المناعة والحصانة، حتى لا تكون فيه قابلية للشر والفساد، ويربطه بالله، حتى يكون منه على مواقف الله الإحسان، وما الإحسان إلا كما قال الرسول ﷺ: « **أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه، فإنه يراك**».

ويقول تعالى: ﴿**فاذكروني أذكركم**﴾ [1] ويقول: ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾[2].

وما ذكر الله، إلا إحداث اليقظة فى القلب والضمير حتى يؤديا إلى الحق والخير، والمناقب العليا، هى متطلعات الضمير فى الجوانب النفسية، فالعفاف والطهر، والاستقامة والشجاعة والوفاء، والكرم والإباء، وإغاثة الملهوف، وتفريج الكروب وإعطاء المحتاج، ونصرة المظلوم، والرحمة بالبائسين، والأخذ بيد الضعيف، كل هذه الفضائل هى تطلعات الضمير، التى يدفع بها إلى أن تأخذ سبيلها إلى الواقع إلى حياة الناس وأما ما وراء ذلك من الظلم، والغدر، والنفاق والخداع فمن المثالب التى لا تقع إلا على غفوة من الضمير.

والضمير مستقلاً عن الدين، ليس كافياً فى الهداية إلى الحق، ولايمكن اتخاذه - وحده أساساً للأخلاق أو قياساً لها - فهو متأرجح متقلب، قد يختلف من إنسان إلى آخر باختلاف الزمن، أو باختلاف الثقافات فى البيئة الواحدة، أما الدين فهو وحده المعصوم، ومقرراته لا تتبدل ولا تتحول، وقد أتى فى الجانب الأخلاقى بكل ما تتطلبه الحياة، وما تتطلع إليه النفوس المتعطشة إلى الفضيلة والاستقامة.

إذن: فصلة الدين بالضمير صلة هيمنة، وتوجيه وإرشاد، وسيطرة.

إنها صلة هيمنة تستمر مدى الحياة، وإذا ما زالت هذه الهيمنة فى أية فترة من فترات الحياة، فإن الضمير يختل اتزانه وتوازنه، ويتأرجح ويتذبذب، لأنه محتاج باستمرار إلى القائد المربى، وليس هذا القائد المربى إلا الدين.

فإن ظل« الضمير» على أصل فطرته التى فطر الله عليها، يتحرك بحركة الدين ويعمل فى ضوئه، ولم تسيطر عليه آفات الهوى، ولم تدنسه شهوات الدنيا فإنه ينظر بنور الله فيميز بين الحلال والحرام وبين البر والإثم.

ولقد سجل القرآن الكريم أن فى كل نفس قوة فطرية توضح طريق التقوى وطريق الفجور. قال الله تعالى:

---

(١) ١٥٢ : البقرة.
(٢) ٤٥ : العنكبوت.

﴿**فألهمها فجورها وتقواها**﴾[1].

ويقول ﷺ: « **ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب**» أ هـ.

فالمؤمن الصادق إذا التبس عليه أمر، رجع إلى قلبه يستفتيه، وضميره يستهديه، وعليه أن يتبع أول خاطر يقذفه الله فى وجدانه، فيفعل مما اطمأنت إليه نفسه، واستراح له ضميره، ويترك ما تردد فى صدره، وساورته فيه الشكوك، وأحاطت به الريب، فعلامة البر، أن النفوس تسكن إليه، وتطمئن به، وعلامة الإثم، ضيق الصدور، وقلق الضمير، وإن أفتى المفتون، وتدخل الناس بآرائهم وأحكامهم، فسلطان الضمير فوق كل سلطان وحكمه لا يعلو عليه حكم من أحكام الناس وفتواهم

والرسول ﷺ يريد من المؤمنين، أن تكون لهم قلوب صافية، وضمائر حية، يحكمونها، فيما اختلط عليهم من أمور، وإن شك المؤمن فى إباحة شىء، أعرض عنه تورعاً وتعففاً، فمن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، ومن نزه نفسه عنها، فقد استبرأ لدينه وعرض.

يقول ﷺ:

« **إن الحلال بيِّن، وإن الحرام بين، وبينهما مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، كالراعى يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب**» أ هـ.

- وعن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ وجد تمرة فى الطريق فقال: « **لولا أنى أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها**» أ هـ.

فأتقوا الله أيها المؤمنون وجددوا السفينة فإن البحر عميق، وأخلصوا العمل فإن الناقد بصير، أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم.

***

(١) الشمس: ٨.

الخطبة الثانية

الحمد لله . . وكفى . .

وسلام على الذين اصطفى . .

وأشهد أن لا إله إلا الله : الملك الحق المبين .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الصادق الوعد الأمين .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبى التقى البهى الوفى القرشى المكى الزمزمى الهاشمى الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد:

أيها المؤمنون:

فما أحوجنا إلى سلطان الضمير! إنه حارس أمين على سلوك الناس، وهو فوق الملاحم النفسية التى تتجاذب الإنسان إلى ناحية الخير أو ناحية الشر، ففى نوره يسعى الإنسان إلى الخير، ويقف بجانبه يحميه ويرعاه، وبه يعتدل ميزان الحياة، ويستقيم أمرها، ولو تصورنا مجتمعاً ماتت فيه الضمائر أو مرضت لتصورنا أمة تسيطر عليها الفتنة العارمة، وتسودها الفوضى المخربة، ويزحف عليها الموت من كل مكان!!

إن قيمة العمل فى نظر الإسلام، ترجع إلى مقدار ما فى هذا العمل من يقظة الضمير والإخلاص لوجه الله، وتجرد للحق، فالصدقة لا يتقبلها الله من المتصدق إلا إذا تطهرت من شوائب الهوى والغرض، وكانت خالصة لوجه الله:

﴿إنما نطعمكم لوجه الله، لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً﴾[1] .

والجهاد لا يقبله الله إلا إذا كان انتصاراً للحق على الباطل، وحماية لمبادئ العدالة والمساواة .

ـ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قلت: يارسول الله، أخبرنى، عن

---

(١) سورة الإنسان: ٩ .

الجهاد والغزو، فقال: « **ياعبد الله بن عمرو إن قاتلت صابراً محتسباً، بعثك الله صابراً محتسباً، وإن قاتلت مرائياً مكاثرا بعثك الله مرائياً مكاثراً، يا عبد الله بن عمرو، على أى حال قاتلت أو قُتلت، بعثَك الله على تلك الحال**» أ هـ.

إن صوت الضمير يهتف بنا إلى إنكار الذات فى سبيل الواجب، وهذا من أهم ما يحرص الإسلام عليه، ويحث المسلمين على الاستمساك به.

اللهم إنا نسألك ربنا رب العالمين أن تحفظ علينا ديننا، اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر..

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وألهمنا اجتنابه، ولا تجعله متشابها علينا فنضل واجعلنا للمتقين إماماً..

٥ ـ من داخل الجنة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونسترضيه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . .

الحمد لله الذى جعل الفردوس لعباده المؤمنين نزلاً، ويسرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليهم فلم يتخذوا سواها شغلاً، وسهل لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذللا وحفها بالمكاره، وأخرجهم إلى دار الامتحان ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه، وأودعها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وجلاَّها لهم حتى عاينوها بعين البصيرة التى هى أنفذ من رؤية البصر، وبشرهم بما أعد لهم فيها على لسان رسوله، فهى خير البشر على لسان خير البشر . .

وأشهد أن لا إله إلا الله: وحده لا شريك له، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته ومن لاغنى به طرفة عين عن فضله ورحمته، ولا مطمع له فى الفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بعونه ومغفرته.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه، أرسله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، ومحجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين، بعثه للإيمان منادياً، وإلى دار السلام داعياً، وللخليقة هادياً، ولكتابه تالياً، وفى مرضاته ساعياً، وبالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً.

فسبحان من شرح له الصدور، وأنار به العقول، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره . .

أما بعد:

أيها المؤمنون: أحباب الحبيب المصطفى محمد:

موعدنا اليوم فى مؤتمركم الأسبوعى العظيم مع الجنة، التى أعدها الله للمؤمنين العاملين . . بعد حياة طويلة تجرعوا فيها مرارة الصبر، وصبروا على طاعة الله ولا قوا من الأذى مالا قوه من أهل الجاهلية وأهل النفاق . .

ليكون هذا التجوال داخلها حافزاً لنا فى العمل على صراط الله المستقيم،

والنهج على نهج رب العالمين.. غير عابثين باللئام والضعاف.. غير سامعين بهمزات الهمازين، وسب الخارجين.

مع علمنا أن فى الجنة مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر..

أيها المؤمنون:

- عن أبى هريرة قال: وضعت بين يدى رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع وكان أحب الشاة إليه فنهش نهشة وقال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»، ثم نهش أخرى وقال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»، فلما رأى أصحابه لا يسألون قال: «**ألا تقولون كيف؟**» قالوا: كيف يارسول الله؟

قال: «**يقوم الناس لرب العالمين فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر**»، فذكر حديث الشفاعة بطوله، وقال فى آخره: «**فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى فيقيمنى رب العالمين مقاماً لم يقمه أحداً قبلى ولن يقيمه أحداً بعدى، فأقول: يا رب أمتى أمتى، فيقول: يامحمد أدخل من أمتك من لاحساب عليهم من الباب الأيمن وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك مع الأبواب، والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو هجر وقلة**» أ هـ.

أى أن ما بين كل بابين من أبواب الجنة كما بين قلة وهجر وهى مدينة معروفة بالبحرين.

- وفى الحديث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن ما بين مصراعين فى الجنة لمسيرة أربعين سنة** » أ هـ.

هذا..

ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض كانت أبوابها كذلك وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التى تحتها وكلما علت الجنة اتسعت، فعاليها أوسع مما دونه وسعة الباب بحسب وسع الجنة ولعل هذا وجه الاختلاف الذى جاء فى مسافة ما بين مصراعى الباب فإن أبوابها أعلى من بعض.

أيها الموحدون..

وأهل الجنة على درجات، كما كانوا فى الدنيا، فمنهم قليل العمل، ومنهم

كثيره، أو منهم القانت البكاء الذى أخلص وجهه وقلبه لله عز وجل، قال الله تعالى:

﴿لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة، وكلاً وعد الله الحسنى، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً﴾.

وتأمل قوله: كيف أوقع التفضيل أولاً بدرجة ثم أوقعه ثانياً بدرجات، فقيل: الأول بين القاعد المعذور والمجاهد، والثانى بين القاعد بلا عذر والمجاهد.

وقال تعالى: **﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون. الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة وزق كريم﴾**.

ـ وفى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراؤون أهل الغرف من فوقهم كما يتراؤون الكوكب الدرى المغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم**»، قالوا: يارسول الله، تلك منازل الأنبياء لايبلغها غيرهم؟ قال: «**بلى، والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**» أ. هـ.

ولفظ الإمام البخارى «فى الأفق» وهو أبين، والغابر هو الذاهب الماضى الذى قد تولى للغروب، وفى التمثيل دون الكواكب المتوازية المتعامدة للرأس وهو أعلى فائدتان.

إحداهما: بعده عن العيون.

والثانية: أن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض، وإن لم تتوازى العليا السفلى، كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله.. والله أعلم.

أيها المؤمنون:

ما رأيكم فى الرائحة الطيبة، التى تشتاق لها النفوس، وتنتعش بها الأبدان وما رأيكم فى الرائحة الخبيثة التى تشمئز منها النفوس، وتقشعر منها الأبدان.. وتتصب القلوب مضطربة لشمها..

ألا وإن فى الجنة أطيب ريح، لأنه رائحة من الجنة..

فقد روى البخارى عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال:

«من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً» أ . هـ.

نعم: من مسيرة أربعين عاماً، وفى رواية **«ومن مسيرة مائة عام»** كم من الخطوات يمشيها الإنسان فى مائة عام، هذه المسافات المقطوعة تشم بطولها رائحة الجنة . .

أيها المؤمنون: وريح الجنة نوعان:

- ريح يوجد فى الدنيا تشمه الأرواح أحياناً لا تدركه العباد.

- وريح يدرك بحاسة الشم للأبدان كما تشم روائح الأزهار وغيرها، وهذا يشترك أهل الجنة فى إدراكه فى الآخرة من قرب وبعد، وأما فى الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله، وهذا الذى وجده أنس بن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم وأن يكون من الأول . .

وقد أشهد الله سبحانه عباده فى هذه الدار آثاراً من آثار الجنة وأنموذجاً منها، من الرائحة الطيبة واللذات المشتهاة والمناظر البهية والفاكهة الحسنة والنعيم والسرور وقرة العين . .

أما عن أشجار الجنة وبساتينها وظلالها . . فالحديث فيها يطول . . لكن نذكر منها قطوفاً قليلة . .

قال الله تعالى: ﴿**وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود، وطلح منضود وظل ممدود، وماء مسكوب، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة**﴾(1).

وقال تعالى: ﴿**فيها فاكهة ونخل ورمان**﴾(2).

والمخضود: الذى قد خضد شوكه، أى نزع وقطع فلا شوك فيه . .

فعن عتبة بن عبد السلمى قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ فجاء أعرابى فقال: يا رسول الله أسمعك تذكر فى الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكاً منها يعنى الطلح - فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله جعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود فيها سبعون لوناً من الطعام لا يشبه لون آخر**» أ هـ.

---

(1) سورة الواقعة: ٢٧ - ٣٣.

(2) سورة الرحمن: ٦٨.

والملبود: الذى قد اجتمع شعره بعضه على بعض.

مما يدل على عظم الثمرة وكبرها.

وقيل: **المخضود** الذى لا يعقر اليد، أى لا يجرحها ولا يرد اليد عنه شوك ولا أذى فيه.

أما عن **الأشجار**.. ففى الصحيحين عن سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ قال: «**إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها**» أ هـ.

وعن ابن عباس قال: «نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر، وكربها - أى أصولها السعف - ذهب أحمر، وسعفها - أى الجريد - كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم - أى ثيابهم القصيرة - وحللهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد ليس فيها عجم» أى نوى.

أما عن **الثمار** فقد قال تعالى: ﴿ **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة**﴾(١).

وقال: ﴿**قطوفها دانية**﴾: أى تدلل وتنزل إلى أفواه أهل الجنة حتى لا يقوموا بأخذها من أماكنهم بل تأتى الثمار إلى أفواههم مباشرة.

أما عن **أنهارها** فقد قال تعالى: ﴿**جنات تجرى من تحتها الأنهار**﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿**مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى، ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم**﴾(٣).

فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ونفى عن كل واحدة منها الآفة التى تعرض له فى الدنيا، فآفة الماء أن يأسن من طول قلته، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافى للذة شربها، وآفة العسل عدم تصفيته، وهذا من آيات الرب تعالى أن تجرى أنهار من أجناس لم تجر العادة فى الدنيا بإجرائها ويجريها فى غير أخدود، وينفى عنها الآفات التى تمنع كمال اللذة بها، كما ينفى عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداع والغول - أى الصداع والسكر - واللغو وذهاب العقل وعدم اللذة.

(١) سورة البقرة : ٢٥ . (٢) سورة البقرة: ٢٥. (٣) سورة محمد : ١٥ .

ثم **الكوثر** وما أدراك ما الكوثر . . لقد قال عنه النبى ﷺ فيما رواه الترمذى عن عبد الله بن عمر: « **الكوثر نهر فى الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج**»أ هـ.

أما **لباسهم فهو الحرير** قال تعالى: ﴿ **عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق**﴾.

أما عن **الحور** فحدث ولا حرج فقد قال الله تعالى: ﴿**وزوجناهم بحور عين**﴾.

قال أبو عبيدة: جعلناهم أزواجاً جعلناهم اثنين اثنين.

وكفى أن تعلم حديث رسول الله ﷺ الذى رواه البخارى عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: « **لغزوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده - يعنى سوطه - من الجنة خير من الدنيا ومافيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا ولأضاءت ما بينهما، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها** » أ هـ .

أيها المؤمنون: هذه قطرة من بحار محاولة وصف الجنة ومهما وصف الواصفون ومهما تحدث الواعظون فلن يستطيعوا أن يصفوا عشر معشار ما فى الجنة لأنه كما ثبت فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

***

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين..

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين..

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الصادق الوعد الأمين.

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وذريته أجمعين.

أما بعد:

أيها المؤمنون: أحباب الحبيب المصطفى محمد..

وما فى الجنة من نعيم، وما فيها من الجنان واللذات لا يعدل جزءً يسيراً من لذة كبرى تحدث لأهل الجنة..

ألا وهى الغاية التى شمر إليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون، وتسابق إليها المتسابقون ولمثلها فليعمل العاملون. ألا وهى رؤية الرب تبارك وتعالى.

قال الله تعالى: **﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم. للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولاذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾** (1).

فالحسنى: هى الجنة، والزيادة: هى النظر إلى وجه الله الكريم. . هكذا فسرها رسول الله ﷺ. .

فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه من حديث صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ **﴿الذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾** قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً ويريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار؟! فيكشف الحجاب فينظرون الله فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه، وهى الزيادة»

أيها المؤمنون: إن الله قد عرض سلعته على عباده يريد منهم أن يعملوا الصالحات ليدخلوا الجنة، يريدهم أطهاراً أشرافاً، يريدهم ذا شأن فى الدنيا والآخرة وهذا لن يتحقق إلا بانتهاج نهجه والسير على صراطه المستقيم لكن أغواهم الشيطان وضحكت عليهم الدنيا فاتبعوا الهوى واتبعوا الشهوات فذلوا وضلوا. .

لكن تبقى الجماعة المسلمة محافظة على دينها قابضة عليه، لايهمها من ضل. . واضعة سلعة الله أمامها فى كل أحواله. . وصدق الله العظيم حيث يقول: **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾**.

اللهم إنا نسألك ربنا أن تباعد بيننا وبين النار كما باعدت بين المشرق والمغرب. .

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم أدخلنا الجنة برحمتك، ولا تدخلنا النار بذنوبنا . .

اللهم آتنا فى الدنيا حسنة، وفى الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

---

(1) سورة يونس: ٢٥، ٢٦.

٦ ـ إلى ساحة الحساب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

أحمدك ربى قدر ما سجد لك الساجدون ، وأناب إليك المنيبون، وهلل المهللون، وكبر باسمك المكبرون. . وصام لك الصائمون ، وحمدك الحامدون الشاكرون. . فأنت الله لا إله إلا أنت ولا رب سواك. .

وأشهد أن لا إله إلا الله: وحده لا شريك له فى سلطانه، ولامناوئ له فى علو شانه، العزيز الذى لا يغلب ولا يذل، والباقى فكل ما سواه زائل مضمحل سبحانه ﴿ **كل يوم هو شأن**﴾.

يقبل تائباً، ويعطى محروماً، ويغيث لهفاناً، ويطعم مسكيناً، ويقسم جباراً، ويهلك ظالماً، ويعين عادلاً، ويفقر غنياً، ويغنى فقيراً، ويرفع أقواما ويخفض آخرين. .ما للعباد عليه حق واجب، إن عذبوا فبعدله وإن نعموا فبفضله، وهو الكبير الواسع. .

أيـا من كـلمـا نودى أجـــابـا ... ومن بجلاله ينشئ السحابا

وكلم فى الدجى موسى بلطـــف ... كلاماً ثم ألهـمـه الخـطـايـا

ويـا مــن رد يـوسف بعـد بعــد ... وكـاد أبوه ينتحـب انتحـاباً

لك الفضـل الكبـيـر على عــطاء ... مـننت بـه وضاعفت الثوابا

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا محمداً رسول الله. . بعثه الله رب العالمين حجة للمرشدين، ومحجة للمسترشدين، وقامعاً للملحدين ونقمة على الكافرين، وإماماً للأولين والآخرين، وسيداً للأنبياء والمرسلين.

صلى الله عليه، النبى الأمى الذى علم المتعلمين، والرسول الذى بعث الأمل فى قلوب البائسين، والهادى الذى قاد سفينة العالم الحائرة فى خضم المحيط، ومعترك الأمواج إلى شاطئ الله رب العالمين.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبى الأمى القرشى الزمزمى الكريم وعلى آله وصحبه وذريته أجمعين.

أما بعد:

أيها المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد.

الناس فى زماننا ماضون فى أغوائهم وشهواتهم لا يتوقفون، رغم أنهم فى حياتهم يحُاسون، يحُاسبون من رؤسائهم ومن أقربائهم، ومن ذويهم، ومن ساداتهم وكبرائهم. . لذا فهو يعملون لهم ألف حساب. .

إلا فيما يخص آخرتهم وربهم. . فأكثرهم ما عاد يكترثون. . رغم أنهم يعلمون علم اليقين أن وراءهم أهوالاً عظاماً وأموراً شداداً، وسفراً بعيداً لا ينجو منه إلا المتقون.

لذا فنحن ندعوهم للوقوف هناك. . وما أدراك ما هناك. . هناك ساحة الحساب ﴿ **يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه**﴾.

﴿ **يوم يعض الظالم على يديه** ﴾

﴿ **يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾.

وأبدأ حديثى بقول الحق رب العالمين:

﴿ **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾.

أيها الموحدون: أحباب الحبيب المصطفى محمد. .

قال الله تعالى: ﴿**وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب**﴾ يعنى يوم القيامة أو يوم الموت، فإنه أول أيام عذابهم ﴿ **فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل، أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم، وتبين لكم كيف فعلنا بهم، وضربنا لكم الأمثال**» .

أى من أحوالهم، فلقد بين المولى عز وجل مثلهم فى الكفر واستحقاق العذاب أو صفات ما فعلوا وفعل بهم التى هى فى الغرابة كالأمثال المضروبة.

ـ روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف، صنف مشاة، وصنف ركبان، وصنف مشاة**

على وجوههم»، قيل: يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم؟ قال: « **إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم ينسلون على وجوههم من كل حدب وشوك** » أ هـ.

أما المشاة: فهم المذنبون من المؤمنين، وأما الركبان: فالمتقون السابقون الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون..

وأما المشاة على وجوههم: فهم الكفار، وقد يحتمل أن يكونوا ثلاثة أصناف صنف من المسلمين وهم ركبان، وصنفان من الكفار: أحدهما المتكبر المتجبر المتمرد الذى لا يقبل الموعظة فهؤلاء يحشرون على وجوههم وأتباعهم يمشون.

***

فأما الظلمة: فعن أبى هريرة رضى الله عنه فيما يرويه عن ربه تعالى أنه قال: **«ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وعلى عبادى ألا فلا تظالموا»** ا. هـ.

- وعن جابر قال: قال ﷺ: **«اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»** أ هـ.

- وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شىء آخر فليستحله اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم وإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر المظلمة ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه وحملت عليه**».

فإن قلت: هذا ينافى قوله تعالى: ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ قلت: الظالم فى الحقيقة مجزى بقدر ظلمه وإنما أخذ من سيئات المظلوم تخفيفا له وتحقيقاً للعدل، فمعنى الآية أن واحداً لو قال لآخر أحمل عنك وزرك لا يؤاخذ به فى الآخرة. .

قال العلماء: ليس شىء من الذنوب أعظم من الظلم؛ لأن الذنب إذا كان فيما بينك وبين الله تعالى، فإن الله تعالى كريم أن يتجاوز عنك، وإن كانت الذنوب بينك وبين العباد فلا حيلة لك سوى إرضاء الخصم فينبغى للظالم أن يتوب من الظلم، ويستحل من المظلوم فى الدنيا فإذا لم يقدر عليه ينبغى أن يستغفر له ويدعو له فإنه يرجى أن يحلله بذلك.

وقال بعض أهل العلم: الظلم ثلاثة أوجه : ظلم يغفره الله تعالى، إن شاء، وظلم لا يغفره الله تعالى، وظلم يقضى الله تعالى فيه . .

فأما الظلم الذى يغفره الله: فهو ظلم فيما بينهم وبين ربهم من ترك الصلاة والصوم والزكاة والحج وفعل المحارم، وأما الظلم الذى لا يغفره الله: فهو الشرك كما قال الله تعالى: **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء﴾** أ هـ.

وفى هذه الآية دليل على أن صاحب الكبيرة إذا مات من توبة فإنه فى خطر المشيئة إن شاء عفا عنه وأدخله الله الجنة بكرمه، وإن شاء عذبه بالنار ثم يدخله الجنة برحمته وإحسانه؛ لأن الله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك فهو مخلد فى النار . .

وأما الظلم الذى يقضى الله تعالى فيه قضاء، فظلم العباد فيما بينهم كالغيبة والبهتان والنميمة وقتل النفس بغير حق، وأكل المال الحرام والضرب والشتم وغير ذلك من حقوق العباد.

فاتقوا الله عباد الله، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزن عليكم، وإنما حسابك لنفسك أن تتوب من كل معصية قبل الموت توبة نصوحاً وتتدارك ما فرط من تقصير فى فرائض الله عز وجل، وترد المظالم إلى أهلها حبة حبة، وتشتمل كل من تعرضت له بلسانك ويدك وسطوة قلبك، وتطيب قلوبهم حتى تموت ولم يبق عليك فريضة ولا مظلمة . . حينئذ تدخل الجنة - إن شاء الله تعالى - بغير حساب.

فإن مت قبل رد المظالم أحاط بك الخصماء، فهذا يأخذ بيدك، وهذا يقبض على ناصيتك، وهذا يتعلق بلبتك، وهذا يقول ظلمتنى، وهذا يقول شتمتنى، وهذا يقول استهزأت بى، وهذا يقول ذكرتنى فى الغيبة بما يسوءنى، وهذا يقول جاورتنى فأسأت جوارى، وهذا يقول عاملتنى فغششتنى، وهذا يقول: بايعتنى وأخفيت عنى عيب متاعك، وهذا يقول: كذبت فى سعر متاعك، وهذا يقول رأيتنى محتاجاً وكنت غنياً فما أطعمتنى، وهذا يقول: وجدتنى مظلوماً وكنت قادراً على دفع الظلم فداهنت الظالم وماراعيتنى، فبينما أنت كذلك، وقد أنشب الخصماء فيك مخاليبهم، وأحكموا على تلاليب أيديهم، وأنت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق فى عرك أحد عاملته على درهم أو جالسته فى مجلس إلا

وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو جناية أو نظر بعين استحقار، وقد ضعف عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم إذ قرع سمعك نداء الجبار.

﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم﴾[1].

فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة، وتوقن نفسك بالبوار، وتتذكر ما أنذرك الله به على لسان رسوله ﷺ حيث قال: **﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾**[2].

فما أشد فرحك اليوم بتحفيضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم، وما أشد حسرتك فى ذلك اليوم إذا وقف بك على بساط العدل، وشوفهت بخطاب السيئات، وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقاً أو تظهر عذراً، فعند ذلك تؤخذ حسناتك التى تعبت فيها عمرك وتنقل إلى أخصامك عوضاً عن حقوقهم..

فانظر إلى مصيبتك فى مثل هذا اليوم، إذ ليس لك حسنة قد سلمت من آفات الرياء ومكايد الشيطان، فإن سلمت حسنة واحدة فى مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها.

ويقال: لو أن رجلاً له ثواب سبعين نبياً وله خصم بنصف دانق لم يدخل الجنة حتى يرضى خصمه..

فاتق الله عبد الله واستعد ليوم الحساب.

يوم التلاق..

يوم يحشر الله الدواب والطير والبهائم وكل شىء فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للعجماء من القرناء، ثم يقول: كونوا تراباً فذلك قوله تعالى حكاية عن الكفار: **﴿ويقول الكافر ياليتنى ترابا﴾**.

وقيل إن الله حينما يحشر الوحوش والبهائم يوم القيامة تسجد لله سجدة، فتقول الملائكة: ليس هذا يوم سجود، هذا يوم الثواب والعقاب وتقول البهائم: هذا سجود شكر حيث لم يجعلنا الله من بنى آدم.. هكذا قيل.. ولا يستبعد فإن روعة يوم الحساب والناس تحت وهج الشمس، والجبار هو القاض بين العباد..

---

(1) سورة غافر: ١٧.   (2) سورة إبراهيم: ٤٢.

يقول رسول الله ﷺ: « **توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة الصدقة فى السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا** » أ هـ أو كما قال . .

***

الخطبة الثانية

إن الحمد لله رب العالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله: الملك الحق المبين.

وأشهد أنا سيدنا محمداً رسول الله الصادق الوعد الأمين . .

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيا عباد الله ... استعدوا ليوم الحساب بالتوبة إلى الله، والإنابة إليه، والإخلاص له . .

وهذا النبى ﷺ أشرف الخلق وأعلاهم قدراً، والمغفور له ماتقدم من ذنبه وما تأخر يقول:

« **يا أيها الناس توبوا إلى الله فإنى أتوب إليه فى اليوم مائة مرة**» أ هـ .

وفى هذا حث للأمة على التوبة، فكيف لا يشتغل بالتوبة ليلاً ونهاراً من يدنس جريدة أعماله بالذنب مرة بعد أخرى، فعلى هذا لا يكون المصر على المعاصى كاملاً فى الإيمان بل يكون ناقصاً فيه، وذلك لأن ترك الذنوب لا يتصور إلا بالصبر، والصبر لا يتيسر إلا بالخوف، والخوف لا يتحقق إلا بالعلم بعظم ضرر الذنوب، والعلم بعظم ضرر الذنوب لا يحصل إلا بتصديق الله تعالى ورسوله ﷺ، فمن لم يترك الذنوب وأصر عليها يسير كأنه لم يصدق الله تعالى ورسوله فيخاف عليه من سوء الخاتمة . .

هذا .. ومن كان قريباً من المولى عز وجل فالمصائب له فى الدنيا أكثر، والبلاء عليه أشد، أما سمعت قول النبى ﷺ حينما قال:

« **أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**».

وفى رواية « ثم الأمثل فالأمثل».

وقال الله تعالى: **﴿ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾** .

ومهما عظم أهل الدنيا فى قلبك فقد سقطت فى ميزان الآخرة، وإياك أن تبذل لهم دينك لتنال دنياهم، فلا يفعل ذلك أحد إلا صغر فى أعينهم.

اللهم إنا نسألك ربنا رب العالمين أن تختم لنا بخاتمة الإيمان، وأن تجعل آخر كلامنا لا إله إلا الله. وأن تجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير .

واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

إلهنا.. هذا حالنا لا يخفى عليك.. وهذا ذلنا ظاهر بين يديك، فعاملنا بالإحسان إذ الفضل منك وإليك، واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

***

٧ ـ « إياك نعبد»

الحمد لله رب العالمين: يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك، فأنت الله: لا إله غيرك، ولا رب سواك..

ارحمنا برحمتك، تولنا بعنايتك، وارزقنا من فضلك، يا أرحم الراحمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله: وحده لا شريك له فى سلطانه، ولامناوئ له فى علو شانه: العزيز الذى لا يغلب ولا يذل، والخالق فكل ما سواه زائل مضمحل..

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا وقدوتنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمداً.

أشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتبعها إلا كل منيب سالك، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وذريته أجمعين.

أما بعد.. أيها الإخوة المؤمنون: أحباب الحبيب المصطفى محمد..

نقرأ فى كل صلاة «إياك نعبد» ولا يعرف كثير منا حقيقة معانيها، فأردت أن نقف عندها اليوم فى هذا المؤتمر الأسبوعى العظيم.

فلا يكون العبد متحققا﴿ **بإياك نعبد**﴾ إلا بأصلين عظيمين:

أحدهما: متابعة الرسول ﷺ.

والثاني: الإخلاص للمعبود، فهذا تحقيق « إياك نعبد».

والناس منقسمون بحسب هذين الأصلين، وهم أهل «إياك نعبد» حقيقة، فأعمالهم كلها لله وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله، ومنعهم لله، وحبهم لله، وبغضهم لله، فمعاملتهم ظاهراً وباطناً لوجه الله وحده. لا يريدون بذلك من الناس جزاء، ولا شكوراً، ولا ابتغاء الجاه عندهم، ولا طلب المحمدة، والمنزلة فى قلوبهم، ولا هربا من ذمهم، بل قد عدوا الناس بمنزلة أصحاب القبور، لا يملكون لهم ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فالعمل لأجل الناس، وابتغاء الجاه والمنزلة عندهم، ورجائهم للضرر والنفع منهم لا يكون من عارف بهم البتة، بل من جاهل بشأنهم، وجاهل بربه. فمن عرف الناس أنزلهم منازلهم، ومن عرف الله أخلص له أعماله وأقواله، وعطاءه ومنعه وحبه وبغضه، ولا يعامل أحد الخلق

دون الله إلا لجهله بالله وجهله بالخلق، وإلا فإذا عرف الله وعرف الناس آثر معاملة الله على معاملتهم.

وكذلك أعمالهم كلها وعبادتهم موافقة لأمر الله، ولما يحبه ويرضاه، وهذا هو العمل الذى لا يقبل الله من عامل سواه، وهو الذى بلا عباده بالموت والحياة لأجله.

قال الله تعالى: **﴿الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾** (١).

وجعل ما على الأرض زينة لها ليختبرهم أيهم أحسن عملاً.

قال الفضيل بن عياض: العمل الحسن هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا على ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً: لم يقبل. وإذا كان صواباً، ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً.

والخالص: ما كان لله، والصواب: ماكان على السنة، وهذا هو المذكور فى قوله تعالى: **﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾** (٢).

وفي قوله: **﴿ ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن﴾** فلا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، على متابعة أمره، وما عدا ذلك فهو مردود على عامله، يرد عليه أحوج ما هو إليه ـ هباء منثوراً.

وفى الصحيح من حديث عائشة عن النبى ﷺ: «**كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد**» أ هـ.

وكل عمل بلا اقتداء فإنه لا يزيد عامله من الله إلا بعداً، فإن الله تعالى إنما يعبد لأمره، لا بالآراء والأهواء.

الضرب الثانى: من لا إخلاص له ولا متابعة، فليس عمله موافقاً لشرع، وليس هو خالصاً للمعبود، كأعمال المتزينين للناس، المرائين بما لم يشرعه الله ورسوله. وهؤلاء شرار الخلق، وأمقتهم إلى الله عز وجل، ولهم أوفر نصيب من قوله: **﴿ ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب، ولهم عذاب أليم﴾** (٣) يفرحون بما أتوا من البدعة

---

(١) سورة تبارك: ٢. (٢) سورة الكهف: ١١٠. (٣) سورة آل عمران: ١٨٨.

والضلالة والشرك، ويحبون أن يحمدوا باتباع السنة والإخلاص.

وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف من المنتسبين إلى العلم والفقر والعبادة على الصراط المستقيم، فإنهم يرتكبون البدع والضلالات، والرياء والسمعة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوه من الاتباع والإخلاص والعلم، فهم أهل الغضب والضلال.

الضرب الثالث: من هو مخلص فى أعماله، لكنها غير متابعة الأمر كجهال العبادة والمنتسبين إلى طريق الزهد والفقر، وكل من عبد الله بغير أمره، واعتقد عبادته هذه قربة إلى الله فهذا حاله.

كمن يظن أن سماع الغناء قربة، وأن الخلوة التى يترك فيها الجمعة والجماعة قربة، وأن مواصلة صوم النهار بالليل قربة، وأن صيام يوم فطر الناس كلهم قربة، وأمثال ذلك.

الضرب الرابع: من أعماله على متابعة الأمر، لكنها لغير الله كطاعة المرائين وكالرجل يقاتل رياء وحمية وشجاعة، ويحج ليقال، ويقرأ القرآن ليقال: فهؤلاء أعمالهم ظاهرها أعمال صالحة مأمور بها، لكنها غير صالحة، فلا تقبل **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾**[1].

فكل أحد لم يؤمر إلا بعبادة الله بما أمر، والإخلاص فى العبادة، وهم أهل **﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾**.

ثم أهل مقام «إياك نعبد» لهم فى أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص أربع طرق. فهم فى ذلك أربعة أصناف:

الصنف الأول: عندهم أنفع العبادات وأفضلها : أشقها على النفوس وأصعبها.

قالوا: لأنه أبعد الأشياء عن هواها، وهو حقيقة التعبد.

قالوا: والأجر على قدر المشقة، ورووا حديثاً لا أصل له، «وأفضل الأعمال أخرها» أى أصعبها وأشقها.

وهؤلاء هم أهل المجاهدات والجور على النفوس.

قالوا: وإنما تستقيم النفوس بذلك، إذ طبعها الكسل والمهانة والإخلاد إلى الأرض، فلا تستقيم إلا بركوب الأهوال وتحمل المشاق.

---

(١) سورة البينة: ٥.

الصنف الثانى: أفضل العبادات التجرد والزهد فى الدنيا والتقلل منها غاية الإمكان وإطراح الاهتمام بها وعدم الاكتراث فبكل ما هو منها ثم هؤلاء قسمان ظنوا أن هذا غاية، فشمروا إليه وعملوا عليه، ودعوا الناس إليه، وقالوا: هو أفضل من درجة العلم والعبادة، فرأوا الزهد فى الدنيا غاية كل عباده ورأسها.

وخواصهم: رأوا هذا مقصوداً لغيره، وأن المقصود به عكوف القلب على الله وجمع الهمة عليه، وتفريغ القلب لمحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه، والاشتغال بمرضاته، فرأوا أن أفضل العبادات فى الجمعية على الله، ودوام ذكره بالقلب، واللسان والاشتغال بمراقبته، دون كل ما فيه تفريق للقلب وتشتيت له.

ثم هؤلاء قسمان: فالعارفون المتبعون منهم. إذا جاء الأمر والنهى بادروا إليه ولو فرقهم وأذهب جمعيتهم، والمنحرفون منهم يقولون: المقصود من العبادة جمعية القلب على الله، ، فإذا جاء ما يفرقه عن الله لم يلتفت إليه، وربما يقول قائلهم:

يطالب بالأوراد من كان غافلاً فكيف بقلب كل أوقاته ورد؟

ثم هؤلاء أيضا قسمان: منهم ممن يترك الواجبات والفرائض لجمعيته، ومنهم من يقوم بها ويترك السنن والنوافل، وتعلم العلم النافع لجمعيته.

وسأل بعض العارفين شيخاً عارفاً، فقال: إذا أذن المؤذن وأنا فى جمعيتى على الله، فإن قمت وخرجت تفرقت، وإن بقيت على حالى على جمعيتى فما الأفضل فى حقى؟

فقال: إذا أذن المؤذن وأنت تحت العرش فقم، وأجب داعى الله، ثم عد إلى موضعك، وهذا لأن الجمعية على الله حظ الروح والقلب، وإجابة الداعى حق الرب، ومن آثر حظ روحه على حق ربه فليس من أهل « إياك نستعين».

أيها المؤمنون توبوا إلى الله واستغفروه.

***

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين... ولى الصالحين..

وأشهد أن لا إله إلا الله: الملك الحق المبين..

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمداً رسول الله الصادق الوعد الأمين، اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبى التقى البهى الوفى القرشى المكى الكريم وعلى آله

وصحبه وأتباعه الطيبين الطاهرين..

أما بعد.. أيها الإخوة المؤمنون: أحباب الحبيب المصطفى محمد.

الصنف الثالث: رأوا أن أنفع العبادات وأفضلها: ما كان فيه نفع متعد فرأوه أفضل من ذى النفع القاصر، فرأوا خدمة الفقراء، والاشتغال بمصالح الناس وقضاء حوائجهم، ومساعدتهم بالمال والجاه والنفع أفضل، فتصدوا له وعملوا عليه واحتجوا بقول النبى ﷺ: «**الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله**» أ هـ رواه أبو يعلى.

واحتجوا بأن عمل العابد قاصر على نفسه، وعمل النفاع متعد إلى الغير، وأين أحدهما من الآخر؟

قالوا: ولهذا كان فضل العالم على العابد كفضل القمرعلى سائر الكواكب.

قالوا: وقد قال رسول الله ﷺ لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه: «**لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**» وهذا التفضيل إنما هو للنفع المتعدى، واحتجوا بقوله ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، من غير أن ينقص من أجورهم شىء**».

واحتجوا بقوله ﷺ: «**إن الله وملائكته يصلون على معلمى الناس الخير**» وبقوله ﷺ: «**إن العالم ليستغفر له من فى السماوات ومن فى الأرض، حتى الحيتان فى البحر، والنملة فى جحرها**» أ. هـ.

واحتجوا بأن صاحب العبادة إذا مات انقطع عمله، وصاحب النفع لا ينقطع عمله، ما دام نفعه الذى نسبه إليه.

الصنف الرابع: قالوا: إن أفضل العبادة: العمل على مرضاة الرب فى كل وقت بما هو مقتضى الوقت ووظيفته فأفضل العبادات فى وقت الجهاد الجهاد وإن آل إلى ترك الوراد من صلاة الليل وصيام النهار بل ومن ترك إتمام صلاة الفرض، كما فى حالة الأمن.

والأفضل فى وقت حضور الضيف مثلاً: القيام بحقه، والاشتغال به عن الورد المستحب، وكذلك فى أداء حق الزوجة والأهل.

والأفضل فى أوقات السحر: الاشتغال بالصلاة والقرآن، والدعاء والذكر

والاستغفار.

والأفضل فى وقت استرشاد الطالب، وتعليم الجاهل: الإقبال على تعليمه والاشتغال به، والأفضل فى أوقات الأذان: ترك ما هو فيه من ورده، والاشتغال بإجابة المؤذن.

والأفضل فى أوقات الصلوات الخمس: الجد والنصح فى إيقاعها على أكمل الوجوه، والمبادرة إليها فى أول الوقت، والخروج إلى الجامع ، وإن بعد كان أفضل.

والأفضل فى أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاه، أو البدن، أو المال الاشتغال بمساعدته، وإغاثة لهفته، وإيثار ذلك على أورادك وخلواتك.

والأفضل فى وقت قراءة القرآن: جمعية القلب والهمة على تدبره وتفهمه حتى كأن الله تعالى يخاطبك به، فتجمع قلبك على فهمه وتدبره، والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاء كتاب من السلطان على ذلك.

والأفضل فى وقت الوقوف بعرفة: الاجتهاد فى التضرع والدعاء والذكر دون الصوم المضعف عن ذلك.

والأفضل فى أيام عشر ذى الحجة: الإكثار من التعبد، لا سيما التكبير والتهليل والتحميد: فهو أفضل من الجهاد غير الميقن.

والأفضل فى العشر الأخير من رمضان لزوم المسجد فيه، والخلوة والاعتكاف دون التصدى لمخالطة الناس والاشتغال بهم، حتى أنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم، وإقرائهم القرآن، عند كثير من العلماء.

والأفضل فى وقت مرض أخيك المسلم أو موته: عيادته، وحضور جنازته وتشييعه، وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيتك..

اللهم اجعلنا مخلصين لك، حافظين لأمرك، بعيدين عن نهيك، خاضعين منيبين إليك دائما .

اللهم أحسن ختامنا، وتول أمرنا، وبرحمتك ارحمنا يا أرحم الراحمين.

اذكروا الله العظيم يذكركم، وأقم الصلاة..

***

٨ ـ الوعد والوعيد

الحمد لله رب العالمين: نسألك أن تجنبنا موارد الظالمين، وأن تجعلنا يا الله عند سكرة الموت ووحشة القبر، ووقفة الحساب من الآمنين..

وأشهد أن لا إله إلا الله: لا إله غيره، ولا رب سواه.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا وقدوتنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمداً.

أرسله الله رحمة للعالمين، وحجة للمرشدين، ومحجة للمسترشدين ونقمة على الكافرين الملحدين، وهادياً للناس أجمعين، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وذريته وآل بيته أجمعين.

أما بعد..

أيها الإخوة المؤمنون :أحباب الحبيب المصطفى محمد.

لكل الناس بصر يرون به، ويحسسون به المواضع، ويدركون به الأشياء..

لكل منهم عينان: بها يرى ويتحسس.

ولكل منهم حس به يدرك ويفهم..

ولكن ليس لكل منهم بصيرة، بها يدرك أمورا كان له أن يدركها..

ويعلم حقائق كان له أن يعلمها..

فأردت أن أقف بينكم اليوم حول « البصيرة فى الوعد والوعيد».

والبصيرة فى الوعد والوعيد: هى أن تشهد قيام الله على كل نفس بما كسبت فى الخير والشر، عاجلاً وآجلاً، فى دار العمل ودار الجزاء وأن ذلك هو موجب إلهيته وربوبيته، وعدله وحكمته. فإن الشك فى ذلك شك فى إلهيته وربوبيته بل شك فى وجوده، فإنه يستحيل عليه خلاف ذلك، ولا يليق أن ينسب إليه تعطيل الخليقة، وإرسالها هملا، وتركها سدى، تعالى الله عن هذا الحسبان علواً كبيراً.

فشهادة العقل بالجزاء كشهادته بالواحدانية، ولهذا كان الصحيح: أن المعاد معلوم بالعقل، وإنما اهتدى إلى تفاصيله بالوحى، ولهذا يجعل الله سبحانه إنكار

المعاد كفراً . . سبحانه؛ لأنه إنكار لقدرته وإلهيته، وكلاهما مستلزم للكفر به.

قال تعالى: **﴿وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا تراباً أئنا لفى خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم، وأولئك الأغلال فى أعناقهم، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾**[1].

وفى الآية قولان:

أحدهما: إن تعجب من قوله: **﴿أئذا كنا تراباً أئنا لفى خلق جديد﴾** فعجب قولهم ! كيف يفكرون هذا، وقد خلقوا من تراب، ولم يكونوا شيئاً.

والثانى: إن تعجب من شركهم مع الله غيره، وعدم انقيادهم لتوحيده وعبادته وحده لا شريك له؟ فإنكارهم للبعث وقولهم: **﴿أئذا كنا تراباً أئنا لفى خلق جديد﴾** أعجب.

وعلى التقديرين: فإنكار المعاد عجب من الإنسان، وهو محض إنكار الرب والكفر به، والجحد لإلهيته وقدرته، وحكمته وعدله وسلطانه.

لأنه يستدل بما يشهد على ماغاب، فيستدل بالعيان على الإيمان، ولهذا خص الله تعالى بالآيات والانتفاع بها هؤلاء؛ لأنهم يستدلون بما يشاهدون منها على حقيقة ما أخبرت به الرسل، من الأمر والنهى والثواب والعقاب.

وقد ألهم الله ذلك لآدم، وعلمه إياه حين علمه أسماء كل شىء، وبنوه هم نسخته وخلفاؤه: فكل قلب فهو قابل لذلك، وهو فيه بالقوة، وبه تقوم الحجة، وتصل العبرة، وتصح الدلالة.

وبعث الله رسله مذكرين ومنبهين، ومكملين لهذا الاستعداد بنور الوحى والإيمان، فيتضافر ذلك إلى نور الفراسة والاستعداد، فيصير نورا على نور، فتقوى البصيرة، ويعظم النور، ويدوم، بزيادة مادته ودوامها، ولا يزال فى تزايد حتى يرى على الوجه والجوارح، والكلام والأعمال ومن لم يقبل هدى الله ولم يرفع به رأسا دخل قلبه فى الغلاف والأكنة، فأظلم وعمى عن البصيرة، فحجبت عنه حقائق الإيمان، فيرى الحق باطلاً والباطل حقاً والرشد غياً، والغى رشدا. .

قال الله تعالى: **﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾**[2].

---

(١) سورة الرعد: ٥.

(٢) سورة المطففون: ١٤.

و«الرين» و«الران» هو الحجاب الكثيف المانع للقلب من رؤية الحق، والانقياد له.

وعلى حسب قوة البصيرة وضعفها تكون الفراسة، وهى نوعان:

فراسة علوية شريفة، مختصة بأهل الإيمان، وفراسة سفلية ودنيئة مشتركة بين المؤمن والكافر، وهى فراسة أهل الرياضة والجوع والسهر والخلوة، وتجريد البواطن من أنواع الشواغل، فهؤلاء لهم فراسة كشف الصور، والإخبار ببعض المغيبات السفلية التى لا يتضمن كشفها والإخبار بها.

قال صاحب منازل السائرين:

« البصيرة ما يخصك من الحيرة، وهى على ثلاث درجات، **الدرجة الأولى:** أن تعلم أن الخير القائم بتمهيد الشريعة يصدر عن من لا يخاف عواقبها، فترى من حقه أن تؤوى يقينا، وتغضب له غيره».

ومعنى كلامه: أن ما أخبر به الرسول ﷺ صادر عن حقيقة صادقة، لا يخاف متبعها فيما بعد مكروها، بل يكون آمنا من عاقبة اتباعها إذ هى حق، ومتبع الحق لا خوف عليه، ومن حق ذلك الخبر عليك أن تؤدى ما أمرت به منه من غير شك ولا شكوى، والأحوط بك والذى لا تبرأ ذمتك إلا به تناول الأمر بامتثال صادر عن تصديق محقق، لا يصحبه شك، وأن تغضب على من خالف ذلك غيره عليه أن يضيع حقه، ويهمل جانبه.

وإنما كانت الغيرة عند شيخ الإسلام من تمام«البصيرة» لأنه على قدر المعرفة بالحق ومستحقه ومحبته وإجلاله تكون الغيرة عليه أن يضيع، والغضب على من أضاعه، فإن ذلك دليل على محبة صاحب الحق وإجلاله وتعظيمه، وذلك عين البصيرة، فكما أن الشك الكادح فى كمال الامتثال معه لعين البصيرة، فكذلك عدم الغضب والغيرة على حقوق الله - إذا ضيعت - ومحارمه - إذا انتهكت - معه بعين البصيرة.

والدرجة الثانية: أن تشهد فى هداية الحق وإضلاله: إصابة العدل، وفى تلوين أقسامه: رعاية البر، وتعاين فى جذبه حبل الوصل، أى: مشهود العدل فى هدايته من هداه، وفى ضلال من أضله: أمرين:

أحدهما: تفرده بالخلق، والهدى والضلال.

والثانى: وقوع ذلك منه على وجه الحكمة والعدل، لا بالاتفاق، ولا بمحض المشيئة المجردة عن وضع الأشياء مواضعها، وتنزيلها منازلها، بل بحكمة اقتضت هدى من علم أنه يزكو على الهدى، ويقبله ويشكره عليه، ويثمر عنده فالله يعلم حيث يجعل رسالاته، أصلاً وميزاناً، قال تعالى: **﴿وكذلك فتنّا بعضهم ببعض ليقولوا: أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾**[1] وهم الذين يعرفون قدر نعمته بالهدى ويشكرونه عليها، ويحبونه ويحمدونه على أن جعلهم من أهله، فهو سبحانه بما عدل عن موجب العدل والإحسان فى هداية من هدى وإضلال من أضل، ولم يطرد عن بابه، ولم يبعد به عن جنابه، من يليق به التقريب والهدى والإكرام، بل طرد من لا يليق به إلا الطرد والإبعاد، وحكمته وحمده تأبى تقريبه وإكرامه، وجعله من أهله وخاصته وأوليائه.

ولا يبقى إلا أن يقال: فلم خلق من هو بهذه المثابة؟

فهذا سؤال جاهل ظالم ضال، مفرط فى الجهل والظلم والضلال، لأن خلق الأضداد والمتقابلات هو من كمال الربوبية، كالليل والنهار، والحر والبرد واللذة والألم، والخير والشر والنعيم والجحيم.

قوله: « وفى تكوين أقسامه رعاية البر».

يريد بتكوين الأقسام: اختلافها فى الجنس والقدر والصفة، من أقسام الأموال والقوى، والعلوم والأعمال، والصنائع وغيرها، قسمها على وجه البر والمصلحة، فأعطى كلاً منهم ما يصلحه، وما هو الأنفع له، براً وإحساناً.

وقوله: « وتعاين فى جذبه حبل الوصال».

يريد تعاين فى توفيقه لك للطاعة، وجذبه إياك من نفسك: أنه يريد تقريبك منه: فاستعار للتوفيق الخاص الجذب، وللتقريب الوصال، وأراد بالحبل السبب الموصل لك إليه.

فأشار بهذا إلى أنك تستدل بتوفيقه لك، وجذبه نفسك، وجعلك متمسكاً بحبله، الذى هو عهده ووصيته إلى عباده على تقريبه لك تشاهد ذلك ليكون أقوى فى المحبة والشكر، وبذل النصيحة فى العبودية، وهذا كله من تمام البصيرة، فمن لا بصيرة له فهو بمعزل عن هذا.

الدرجة الثالثة: بصيرة تفجر المعرفة، وتثبت الإشارة، وتنبت الفراسة، أى

---

(١) سورة الأنعام: ٥٣.

بالبصيرة فى الكشف والعيان: أن تتفجر بها ينابيع المعارف من القلب، ولم يقل «تفجر العلم» لأن المعرفة أخص من العلم عند القوم، ونسبتها إلى العلم نسبة الروح إلى الجسد، فهى روح العلم ولبه.

نعم: فإن هذه البصيرة تتفجر من قلب صاحبها ينابيع من المعارف، التى لا تنال بكسب ولا دراسة، إن هو إلا فهم يؤتيه الله عبداً فى كتابه ودينه على قدر بصيرة قلبه.

أما تثبيت الإشارة: فما يشير إليه القوم من الأحوال والمنازلات، وإلا ذواق التى ينكرها الأجنبى من السلوك، ويثبتها أهل البصائر وكثير من هذه الأمور ترد على السالك، فإن كان له بصيرة تثبت بصيرته ذلك له وحققته عنده، وعرفته تفاصيله، وإن لم يكن له بصيرة بل كان جاهلاً، لم يعرف تفصيل مايرد عليه، ولم يهتد لتثبيته.

أما «تنبت الفراسة» أى أن البصيرة تنبت فى أرض القلب الفراسة الصادقة، وهى نور يقذفه الله فى القلب، يفرق به بين الحق والباطل، والصادق والكاذب. .

قال الله تعالى: **﴿إن فى ذلك لآيات للمتوسمين﴾**(1) قال مجاهد للمتفرسين.

وفى الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «**اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله عز وجل ثم قرأ: ﴿ إن فى ذلك لآيات للمتوسمين﴾**».

والتوسم: تفعل من السيما، وهى العلامة: سمى المتفرس متوسماً بها كمالا للنفس، ولا زكاة ولا إيمان ولا معرفة، وهؤلاء لا تتعدى فراستهم هذه السفليات، لأنهم محجوبون عن الحق تعالى، فلا تصعد فراستهم إلى التمييز بين أوليائه وأعدائه، وطريق هؤلاء وهؤلاء.

وأما فراسة الصادقين، العارفين بالله وأمره: فإن همتهم لما تعلقت بمحبة الله ومعرفته وعبوديته، ودعوة الخلق إليه على بصيرة كانت فراستهم متصلة بالله متعلقة بنور الوحى مع نور الإيمان، فميزت بين ما يحبه الله وما يبغض، من الأعيان والأقوال والأعمال، وميزت بين الخبيث والطيب والمحق والمبطل، والصادق والكاذب، وعرفت مقادير استعداد السالكين إلى الله، فحملت كل إنسان على قدر استعداده، علما وارادة وعملاً.

ففراسة هؤلاء دائما حول كشف طريق الرسول وتعرفها وتخليصها من بين

---

(1) سورة الحجر: ٧٥.

سائر الطرق، وبين كشف عيوب النفس، وآفات الأعمال العائقة عن سلوك طريق المرسلين، فهذا أشرف أنواع البصيرة والفراسة، وأنفعها للعبد فى معاشه ومعاده.

أيها الإخوة المؤمنون: إن فى يوم الجمعة ساعة إجابة، فادعوا الله عسى أن تكون هذه الساعة..

***

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين..

وأشهد أن لا إله إلا الله..

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: فصلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وأتباعه وذريته أجمعين.

أما بعد: فإذا انتبه وأبصر أخذ فى « العقد» وصدق الإرادة، وأجمع القصد والنية على سفر الهجرة إلى الله، وعلم وتيقن أنه لابد له منه، فأخذ فى أهبة السفر، وتعبئة الزاد ليوم المعاد، والتجرد عن عوائق السفر، وقطع العلائق التى تنم من الخروج.

وقد قسمت إلى ثلاث درجات:

الأولى: قصد يبعث على الارتياض، ويخلص من التردد، ويدعو إلى مجامع الأعراض.

فله ثلاث فوائد: أنه يبعث عن السلوك بلا توقف، ولا تردد، ولا علة غير العبودية، من رياء أو سمعة، أو طلب محمدة أو جاه ومنزلة عند الخلق.

والدرجة الثانية: قصد لا يلقى سببا إلا قطعه، ولا حائلا إلا منعه ولا صعوبة إلا سهله.

يعنى أنه لا يلقى سببا يعوق عن المقصود إلا قطعه، ولا حائلا دونه إلا منعه ولا صعوبة إلا سهلها.

والدرجة الثالثة: قصد الاستسلام لتهذيب العلم، وقصد إجابة داعى الحكم، وقصد اقتحام بحر الفناء.

يريد أنه ينقاد إلى العلم ليتهذب به ويصلح، ويقصد إجابة داعى الحكم الدينى الأمرى كلما دعاه، فإن للحكم فى كل مسألة من مسائل العلم مناديا ينادى للإيمان بها علما وعملا فيقصد إجابة داعيها، ولكن مراده بداعى الحكم: الاسرار

والحكم الداعية إلى شرع الحكم، فإجابتها قدر زائد على مجرد الامتثال فإنها تدعو إلى المحبة والإجلال، والمعرفة والحمد، فالأمر يدعو إلى الامتثال، وما تضمنه من الحكم، والغايات تدعو إلى المعرفة والمحبة.

أما قصد اقتحام بحر الفناء، فهذا هو الغاية المطلوبة عند القوم، وهو عند بعضهم لازم من لوازم الطريق، وليس بغاية، وعند آخرين عارض من عوارض الطريق، وليس بغاية، ولا هو لازم لكل سالك، وأهل القوة والعزم لا يعرض لهم وحال البقاء أكمل منه، ولهذا كان البقاء حال نبينا ﷺ ليلة الإسراء، وقد رأى ما رأى، وحال موسى الفناء، ولهذا خر صعقا عندما تجلى الله للجبل، وامرأة العزيز كانت أكمل حباً ليوسف من النسوة، ولم يعرض لها ما عرض لهن عند رؤية يوسف لغيابهن وبقائها.

فاللهم ارضى عنا وأرضنا . . اللهم نسألك رضاك والجنة، ونعوذ من سخطك ومن النار . .

يا رب رضاك خير من الدنيا ومافيها ... يا مالك النفس قاصيها ودانيها

فليس للروح آمال تحققها ... سوى رضاك فذا أمضى أمانيها

فنظرة منك ياسؤلى ويا أملى ... أشهى إلىَّ من الدنيا وما فيها

اللهم أصلح أحوالنا، وتول أمرنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا وتب علينا توبة ترضيك، وأبعدنا عن معاصيك . .

إلهى: هذا حالنا لا يخفى عليك وهذا ذلنا ظاهر بين يديك، فعاملنا بالإحسان إذ الفضل منك وإليك، واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

عباد الله: إن الله جمع الفضائل كلها فى نصف آية من كتاب الله تعالى:

﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى**﴾ ونهى عن الرذائل كلها فى النصف الآخر من نفس هذه الآية فقال: ﴿**وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى**﴾.

يعظكم لعلكم تذكرون، اذكروا الله العظيم يذكركم، وأقم الصلاة

***

٩ ـ التوبة إلى الله

الحمد لله رب العالمين أسألك ربنا من فضلك ورحمتك، سؤال عبد ذليل لك خاضع لأمرك..

وأشهد أن لا إله إلا الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم..

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليفنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمداً: عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها الإخوة المؤمنون: أحباب الحبيب المصطفى محمد..

فى معترك الحياة، يتناسى الناس حالهم أمام الله، وينسون لم خلقهم ربهم، فظلوا فى الفساد، وعاثوا فى الطغيان.. هؤلاء ندعوهم لفهم موقفهم مرة أخرى، وندعوهم للتوبة إلى الله رب العباد.. من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال.

والتوبة: أول المنازل، وأوسطها وآخرها، فلا مفارقة العبد السالك، ولا يزال فيه إلى الممات، وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به، واستصحبه معه ونزل.

فالتوبة هى بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها فى النهاية ضرورية، كما أن حاجته إليها فى البداية كذلك.

وقد قال الله تعالى: ﴿ **توبوا إلى الله جميعا أَيُّهَ المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾[١] وهذه الآية فى سورة مدنية، خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه، بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم وجهادهم، ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتى ماداه« لعل» المشعرة بالترجى، إيذانا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون جعلنا الله منهم.

قال الله تعالى: ﴿**ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون**﴾[٢]، قسم العباد إلى تائب وظالم، وما ثم قسم ثالث البته، وأوقع اسم « الظالم» على من لم يتب ولا

---

(١) سورة النور: ٣١ .

(٢) سورة الحجرات: ١١.

أظلم منه، لجهله بربه وبحقه، ويعيب نفسه وأمات أعماله.

- وفى الصحيح عنه ﷺ أنه قال: « **يا أيها الناس توبوا إلى الله، فوالله إنى أتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة**» وكان أصحابه يعدون له فى المجلس الواحد قبل أن يقوم: «**رب اغفر لى وتب علىَّ إنك أنت التواب الغفور،مائة مرة**».

وما صلى صلاة قط بعد أن أنزلت عليه ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح**﴾ إلى آخرها إلا قال فيها: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى» وصح عنه ﷺ أنه قال: « لن ينجى أحداً منكم قالوا: ولا فصلوات الله وسلامه عليه أعلم الخلق بالله وحقوقه، وعظمته ومايستحقه حلاله من العبودية، وأعرضهم بالعبودية وحقوقها وأقومهم بها.

ولما كانت« التوبة» هى رجوع العبد إلى الله، ومفارقته الصراط المغضوب عليهم والضالين، وذلك لا يحصل إلا بهداية الله إلى الصراط المستقيم، ولا تحصل هدايته إلا بإعانته وتوحيده، فقد انتظمها سورة الفاتحة أحسن انتظام، وتضمنتها أبلغ تضمن، فمن أعطى الفاتحة حقها - علما وشهوداً وحالاً ومعرفة - علم أنه لا تصح له قراءتها على العبودية إلا بالتوبة النصوح.

فإن الهداية التامة إلى الصراط المستقيم لا تكون مع الجهل بالذنوب، ولا مع الإصرار عليها، فإن **الأول**: جهل ينافى معرفة الهدى، **والثانى**: جهل ينافى قصده وإرادته، فلذلك لا تصح التوبة إلا بعد معرفة الذنب، والاعتراف به، وطلب التخلص من سوء عواقبه أولاً وآخراً. . إذن فما التوبة؟

هى أن تنظر إلى ثلاثة أشياء: إلى انخلاعك من العصمة حين إتيانه،وفرحك عند الظفر به، وقعودك على الإصرار عن تداركه، مع تيقنك نظر الحق إليك.

الانخلاع عن العصمة: هو الانخلاع عن اعتصامه بالله، فإنه لو اعتصم بالله لما خرج عن هداية الفاتحة، قال الله تعالى: ﴿ **ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم**﴾[1].

فلو كملت عصمته بالله لم نحيز له أبداً، قال الله تعالى: ﴿**واعتصموا بالله هو مولاكم، فنعم المولى ونعم النصير**﴾[2] أى متى اعتصمتم به تولاكم، ونصركم على أنفسكم وعلى الشيطان، وهما العدوان اللذان لا يفارقان العبد، وعداوتهما

(١) سورة آل عمران: ١٠١ .

(٢) سورة الحج: ٧٨.

أضر من عداوة العدو الخارج، فالنصر على هذا العدو أهم، والعبد إليه أحوج، وكمال النصرة على العدو بحسب كمال الاعتصام بالله ويحتمل معناه أنه هو الانخلاع من عصمة الله له: وإنك إنما ارتكبت الذنب بعد انخلاعك من توبة عظمته لك فمتى عرف هذا الانخلاع وعظم خطره عنده، واشتدت عليه مفارقته، وعلم أن الهلك كل الهلك بعده، وهو حقيقة الخذلان، فما خلى الله بينك وبين الذنب إلا بعد أن خذلك، وخلى بينك وبين نفسك، ولو عصمك ووفقك لما وجد الذنب إليك سبيلا.

وقد أجمع العارفون بالله على أن الخذلان: أن يكلك الله إلى نفسك، ويخلى بينك وبينها، والتوفيق: أن لا يكلك الله إلى نفسك، وله سبحانه فى هذه التخلية بينك وبين الذنب وخذلانك حى واقعته وحكم وأسرارسنذكر بعضها إن شاء الله.

وعلى الاحتمالين فترجع« التوبة» إلى اعتصامك به وعصمته لك .

أما معنى: «فرحك عند الظفر به».

فالفرح بالمعصية دليل على شدة الرغبة فيها، والجهل بقدر ما عصاه، والجهل بسوء عاقبتها وعظم خطرها، ففرحه بها غطى عليه ذلك كله، وفرحه بها أشد ضرراً عليه من مواقعتها، والمؤمن لا تتم له لذة بمعصية أبداً، ولا يكمل بها فرحه بل لا يباشرها إلا والحزن مخالط لقلبه، ولكن سكر الشهوة يحجبه عن الشعور به، ومتى خلى قلبه، فإنه لو كان حبا لأحزنه ارتكابه للذنب، وغاظه وصعب عليه، ولا يحس القلب بذلك، فحيث لم يحسن به فما لجرح بميت إيلام وهذه النكتة فى الذنب قل من يهتدى إليها أو ينتبه لها، وهى موضع تخوف جداً، مترام إلى هلاك إن لم يتدارك بثلاثة أشياء:

خوف من الموافاة عليه قبل التوبة، وندم على ما فاته من الله بمخالفة أمره، وتشمير للجد فى استدراكه.

والإصرار: هو الاستقرار على المخالفة، والعزم على المعاودة، وذلك ذنب آخر، لعله أعظم من الذنب الأول بكثير، وهذا من عقوبة الذنب: إنه يوجب ذنباً أكبر منه، ثم الثانى كذلك، ثم الثالث كذلك، حتى يستحكم الهلاك.

فالإصرار على المعصية معصية أخرى، والقعود عن تدارك الفارط من المعصية إصرار ورضا بها، وطمأنينة إليها، وذلك علامة الهلاك، وأشد من هذا كله: المجاهرة بالذنب، مع تيقن نظر الرب جل جلاله من فوق عرشه إليه، فإن آمن

بنظره إليه وأقدم على المجاهرة فعظيم، وإن لم يؤمن بنظره إليه واطلاعه عليه فكفر، واللاح من الإسلام بالكلية، فهو دائر بين الأمرين.

بين قلة الحياء، ومجاهرة نظر الله إليه، وبين الكفر والانسلاخ من الدين، فلذلك يشترط فى صحة التوبة تيقنه أن الله كان ناظرا - ولا يزال - إليه مطلعاً عليه يراه جهرة عند موافقة الذنب؛ لأن التوبة لا تصح إلا من مسلم إلا أن يكون كافراً بنظر الله إليه جاحداً له، فتوبته دخوله فى الإسلام، وإقرار بصفات الرب جل جلاله.

فحقيقة التوبة: هى الندم على ما سلف منه فى الماضى، والإقلاع عنه فى الحال، والعزم على أن لا يعاوده فى المستقبل.

والثلاثة يرجع إلى العبودية التى خلق لها، وهذا الرجوع هو حقيقة التوبة.

ولما كان متوقعاً على تلك الثلاثة جعلت شرائط له.

فأما الندم: فإنه لا تتحقق التوبة إلا به، إذ من لم يندم على القبيح فذلك دليل على رضاه به، وإصراره عليه، وفى المسند« الندم توبة».

وأما الإقلاع: فتستحيل التوبة مع مباشرة الذنب.

وأما الاعتذار: ففيه إشكال، فإن من الناس من يقول: من تمام التوبة ترك الاعتذار، فإن الاعتذار محاجة عن الجناية، وترك الاعتذار اعتراف بها، ولاتصح التوبة إلا بعد الاعتراف، وفى ذلك يقول بعض الشعراء لرئيسه، وقد عتب عليه فى شىء:

وما قابلت عتبك باعتـــذار ... ولكنى أقول كما تقـــــول

وأطرق باب عفوك بانكسار ... ويحكم بيننا الخلق الجميل

فلما سمع الرئيس مقالته قام وركب إليه من فوره، وأزال عتبه عليه، فتمام الاعتراف ترك الاعتذار، بأن يكون فى قلبه ولسانه: اللهم لا براءة لى من ذنب فأعتذر ولا قوة فأنتصر، ولكن مذنب مستغفر، اللهم لا عذر لى، وإنما هو محض حقك، ومحض جنايتى، فإن عفوت وإلا فالحق لك.

أيها الإخوة المؤمنون:

والكلام عن التوبة وبحث أمرها وحقيقتها لا ينتهى، ولكنها لحظات نتفيأ فيها تحت الظلال فنشم نسيمها، ونستنشق عبيرها ، ونتحلق ثمرها.

علَّ الله أن يرزقنا إياها، فنكون من المفلحين التائبين.

فإذا سأل سائل: إذن: فما هى علامات التوبة المقبول؟

أيها المؤمن: من علامات التوبة المقبولة: أن يكون العبد بعد التوبة خيرا مما كان قبلها.

ومنها أنه لا يزال الخوف مصاحبا له لا يأمن مكر الله طرفة عين، فخوفه مستمر إلى أن يسمع قول الرسل بقبض روحه﴿ **أن لا تخافوا ولا تحزنوا، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون**﴾[1] فهناك يزول الخوف.

ومنها انخلاع قلبه، وتقطعه ندماً وخوفاً، وهذا على قدر عظم الجناية وصغرها، وهذا تأويل أن عينه لقوله تعالى: ﴿ **لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم، إلا أن تقطع قلوبهم**﴾[2] أى نقطعها بالتوبة.

ولا ريب أنه الخوف الشديد من العقوبة العظيمة يوجب انصداع القلب وانخلاعه، وهذا هو تقطعه، وهذا حقيقة التوبة؛ لأنه يتقطع قلبه حسرة على مافرط منه، وخوفا من سوء عاقبته، فمن لم يتقطع قلبه فى الدنيا على مافرط حسرة وخوفاً، تقطع فى الآخرة إذا حفت الحقائق، وعاين ثواب المطيعين، وعقاب العاصين، فلابد من تقطع القلب إما فى الدنيا وإما فى الآخرة.

ومن موجبات التوبة الصحيحة أيضاً كسرة خاصة تحصل للقلب لا يشبهها شىء، ولا تكون لغير المذنب، لا تحصل بجوع، ولا رياضة، ولا حب مجرد، وإنما هى أمر وراء هذا كله، تكسر القلب بين يدى الرب كسرة تامة.. قد أحاطت به من جميع جهاته، وألقته بين يدى ربه طريحاً ذليلاً خاشعاً، كحال عبد جابه آبق من سيده، فأخذ فاحتضر بين يديه، ولم يجد من ينجيه وسعادته وفلاحه ونجاحه فى رضاه عنه، وقد علم إحاطة سيده بتفاصيل جنايته، هذا مع حبه لسيده، وشدة حاجته إليه، وعلمه بضعفه وعجزه وقوة سيده، وذله وعز سيده.

فيجتمع من هذه الأحوال كسرة وذلة وخضوع، ما أنفعها للعبد، وما أجدى عائدها عليه وما أعظم جبره بها، وما أقربه بها من سيده فليس شىء أحب إلى سيده من هذه الكسرة، والخضوع، والتذلل، والأحنات، والانطراح بين يديه، والاستسلام له، فما أحلى قوله فى هذه الحال: «أسألك بعزتك وذلى إلا رحمتنى، أسألك بقوتك وضعفى، ولقياك عنى وتقربى إليك، هذه ناصيتى الكاذبة الخاطئة

---

(١) سورة فصلت: ٣٠.　　(٢) سورة التوبة: ١١٠.

بين يديك، وعبيدك سواى كثير، وليس لى سيد سواك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الغرير، سؤال من خضعت لك رقبته، ورغم لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذل لك قلبه.

يامن ألوذ بـه فيمـا أؤملـه ومـن أعوذ به ممـا أحاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهيضون عظماً أنت جابره

فهذا وأمثاله من آثار التوبة المقبولة، فمن لم يجد ذلك فى قلبه فليتهم توبته، وليرجع إلى تصحيحها، فما أصعب التوبة الصحيحة بالحقيقة وما أسهلها باللسان والدعوى، وما عالج الصادق بشىء أشق عليه من التوبة الخالصة الصادقة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأكثر الناس من المتنزهين عن الكبائر الحسية والقاذورات: فى كبائر مثلها أو أعظم منها أو دونها، ولا يخطر بقلوبهم أنها ذنوب ليتوبوا منها: فعندهم من الإزراء على أهل الكبائر واحتقارهم، وصولة طاعاتهم: ومنتهم على الخلق بلسان الحال، واقتضاء مواطنهم لتعظيم الخلق لهم على طاعاتهم، اقتضاء لايخفى على أحد غيرهم - وتوابع ذلك - ما هو أبغض إلى الله، وأبعد لهم عن بابه من كبائر أولئك.

فإن تدارك الله أحدهم بقاذورة أو كبيرة يوقعه فيها، ليكسر بها نفسه، ويعرفه قدره ويذله بها، ويخرج بها صولة الطاعة من قلبه، فهى رحمة فى حقه، كما أنه إذا تدارك أصحاب الكبائر بتوبة نصوح، وإقبال بقلوبهم إليه، فهو رحمة فى حقهم، وإلا فكلاهما على خطر.

***

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين:

وأشهد أن لا إله إلا الله : الملك الحق المبين.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا محمداً رسول الله الصادق الوعد الأمين اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه أجمعين.

أما بعد:

أيها الإخوة المؤمنون: أحباب الحبيب المصطفى محمد.

ومن حقائق التوبة: طلب أعذار الخليفة، أى أمامه أعذارهم فى إساءتهم إليك، وجنايتهم عليك، والنظر فى ذلك إلى الأقدار، وأن أفعالهم بمنزلة حركات الأشجار، فتعذرهم بالقدر فى حقك، لا فى حق ربك، فهذا حق، وهو من شأن سادات العارفين وخواص أولياء الله الكمل، يغنى أحدهم عن حقه، ويستوفى حق ربه، ينظر فى التفريط فى حقه، وفى الجناية عليه إلى القدر، وينظر فى حق الله إلى الأمر، فيطلب لهم العذر فى حقه ويمحو عنهم العذر ويطلبه فى حق الله.

وهذه كانت حال نبينا ﷺ، كما قالت عائشة رضى الله عنها: «ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط، ولا ينل منه شىء فانتقم لنفسه إلا أن تنتهك محارم الله، فإذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شىء، حتى ينتقم الله» أ هـ.

وقالت عائشة رضى الله عنها أيضاً: « ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادما ولا دابة، ولا شيئاً قط، إلا أمر أن يجاهد فى سبيل الله».

وقال أنس رضى الله عنه: « خدمت النبى ﷺ عشر سنين فما قال لى لشىء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشىء لم أصنعه: لم لم تصنعه؟

وكان إذا عاتبنى بعض أهله يقول: دعوه، فلو مضى شىء لكان».

فانظر إلى نظره إلى القدر عند حقه، وقيامه بالأمر، وقطع يد المرأة عند حق الله ولم يقل هناك: القدر حكم عليه.

وكذلك عزمه على تحريق المتخلفين عن الصلاة معه فى الجماعة، ولم يقل: لو قضى لهم الصلاة لكانت، وكذلك رجمه المرأة والرجل لما زنيا، ولم يحتج فى ذلك لهما بالقدر.

وكذلك فعله فى العرينين الذين قتلوا راعيه، واستاقوا الذود، وكفروا بعد إسلامهم، ولم يقل: قدر عليهم، بل أمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وسمرت أعينهم، وتركوا فى الحرة يستسقون فلا يسقون، حتى ماتوا عطشا، إلى غير ذلك.

وكان رسول الله ﷺ أعرف بالله وبحقه من أن يحتج بالقدر على ترك أمره، ويقبل الاحتجاج به من أحد، ومع هذا فقدر أنساً بالقدر فى حقه، وقالوا: لو قضى شىء لكان فصلوات الله وسلامه عليه.

فهذا المعنى ليس من شرائط التوبة ولا من أركانها، ولا له تعلق بها، فإنه لو لم يقم أعذارهم فى إساءتهم إليه لما نقص ذلك شيئا من توبته.

أيها المؤمنون: إنه لمعترك صعب، زلت فيه أقدام، وضلت فيه أفهام، وافترقت بالسالكين فيه الطرقات، وأشرفوا إلا أقلهم - على أودية الهلكات.

وكيف لا؟ وهو البحر الذى تجرى سفينة راكبة فى موج كالجبال، والمعترك الذى تضاءلت لشهوده شجاعة الأبطال، وتحيرت فيه عقول ألباب الرجال، ووصلت الخليقة إلى ساحله يبغون ركوبه.

فمنهم: من وقف مطرقاً دهشاً، لا يستطيع أن يملأ فيه عينيه، ولا ينقل عن موقفه قدمه، قد امتلأ قلبه بعظمة ما شاهد منه، فقال: الوقوف على الساحل أسلم وليس بلبيب من خاطر نفسه.

ومنهم: من رجع على عقبيه لما سمع هديره وصوت أمواجه ولم يطق نظراً إليه.

ومنهم: من رمى بنفسه فى لجة، تخفضه موجة، وترفعه أخرى.

فهؤلاء الثلاثة على خطر، إذ الواقف على الساحل عرضة لوصول الماء تحت قدميه، والهارب - ولو جد فى الهرب - فماله مصير إلا إليه، والمخاطر ناظر إلى الفرقة كل ساعة بعينيه، وما نجا من الخلق إلا الصنف الرابع، وهم الذين انتظروا موافاة سفينة الأمر، فلما قربت منهم ناداهم الربان:

﴿اركبوا فيها بسم الله مجريها، ومرساها﴾[1]، فهى سفينة نوح حقاً وسفينة من بعده من الرسل، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، فركبوا سفينة الأمر بالقدر، تجرى بهم فى تصاريف أمواجه على حكم التسليم من بيده التصرف فى البحار، فلم يك إلا غفوةحتى قيل لأرض الدنيا وسمائها،فيا أرض ابلعى ماءك، ويا سماء أقلعى، وغيض الماء، وقضى الأمر، واستوت على جودى دار القرار.

والمتخلفون عن السفينة - كقوم نوح - أغرقوا، ونودى عليهم على رؤوس العالمين **﴿ وقيل بعداً للقوم الظالمين ﴾**[2] **﴿ ما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين﴾**[3] ثم نودى بلسان الشرع والقدر، تحقيقاً لتوحيده، وإثباتاً لحجته، وهو أعدل العادلين **﴿ قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾**[4].

---

(١) سورة هود: ١٤.
(٢) سورة هود: ١٠٢.
(٣) سورة هود: ٤٤.
(٤) سورة الأنعام: ١٤٩.

وراكب هذا البحر فى سفينة الأمر وظيفته: مصادقة أمواج القدر ومعارضتها، بعضها ببعضهم وإلا هلك فيرد القدر بالقدر، وهذا سير أرباب العزائم من العارفين، وهو معنى قول الشيخ العارف بالله القدوة عبد القادر الجيلانى قال:

« الناس إذا وصلوا إلى القضاء والقدر، وأمسكوا، إلا أنا. . فانفتحت لى فيه روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق والرجل من يكون منازعاً للقدر، لا من يكون مستسلما مع القدر» ولانت مصالح العباد فى معاشهم إلا بدفع الأقدار بعضها ببعض فكيف فى معادهم؟

والله تعالى أمر أن تدفع السيئة ـ وهى من قدره ـ بالحسنة وهى من قدره، وكذلك الجوع من قدره وأمر بدفعه بالأكل الذى هو من قدره، ولو استسلم العبد لقدر الجوع، مع قدرته على دفعه بقدر الأكل، حتى مات: مات عاصياً، وكذلك البرد والحر والعطش كلها من أقداره، وأمر بدفعها بأقدار قضاؤها والدافع والمدفوع من قدره.

وقد أوضح النبى ﷺ عن هذا المعنى كل الإيضاح، إذ قالوا: « يارسول الله، أرأيت أدوية يتداوى بها، ورقى نسترقى بها، وتقى نتقى بها، هل ترد من قدر الله شيئاً؟ قال: هى من قدر الله».

وفى الحديث الآخر« أن الدعاء والبلاء ليصطلحان بين السماء والأرض» وإذا أطرق العدو من الكفار بلد الإسلام بقدر الله، أفيحل للمسلمين الاستسلام للقدر، وترك دفعه بقدر مثله، وهو الجهاد الذى يدفعون قدر الله بقدره.

وكذلك المعصية إذا قدرت عليك؛ وفعلتها بالقدر فادفع موجبها بالتوبة النصوح، وهى من القدر . .

اللهم إنا نسألك يا الله: أن تصلح فساد قلوبنا، وأن تنزع الغل والحسد والحقد من صدرونا، وأن تصلح ذات بيننا.

اللهم آمنا فى أوطاننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا. .

عباد الله: ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، يعظكم لعلكم تذكرون**﴾. . اذكروا الله العظيم. . يذكركم.

١٠ ـ مفسدات القلوب

الحمد لله رب العالمين . . أسألك ربى إيماناً يحول بينى وبين معاصيك، وخشية تبلغنا به جنتك، ويقيناً يهون علينا مصائب الدنيا . .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا وقدوتنا وقائدنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمداً . .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وذريته وآل بيته أجمعين .

أما بعد:

أيها الإخوة المؤمنون: أحباب الحبيب المصطفى محمد . .

القلب: هذه المضغة الغريبة العجيبة، أعجب ما فى هذا الإنسان يتقلب ويفسد ويحيى ويموت، فيعيش صاحبه بين الناس وهو فاسد قلبه، ويعيش أحيانا وقلبه ميت .

واليوم سنحاول أن نمر على بعض مفسدات القلب .

أيها المؤمنون: من أكبر مفسدات القلوب خشية: كثرة الخلطة والتمنى، والتعلق بغير الله، والشبع، والمنام، فهذه الخمسة من أكبر مفسدات القلب .

أيها المؤمن: اعلم أن القلب يسير إلى الله عز وجل، والدار الآخرة، ويكشف عن طريق الحق ونهجه، وآفات النفس والعمل، وقطاع الطريق بنوره وحياته وقوته، وصحته وعزمه، وسلامة سمعه وبصره، وعينيه الشواغل والقواطع عنه، وهذه الخمسة تطفئ نوره، وتعوق بصيرته، وتثقل سمعه، إن لم تصمه وتبكمه، وتضعف قواه كلها وتوهن صحته وتفتر عزيمته، وتوقف همته وتنكسه إلى ورائه، ومن لا شعور له بهذا فميت القلب، وما لجرح بميت إيلام، فهى عائقة له من نيل كماله، قاطعة له عن الوصول إلى ما خلق له، وجعل نعيمه وسعادته وابتهاجه ولذته فى الوصول إليه .

فإنه لا نعيم له ولا لذة، ولا ابتهاج، ولا كمال، إلا بمعرفة الله ومحبته، والطمأنينة بذكره، والفرح والابتهاج بقربه، والشوق إلى لقائه، فهذه جنته العاجلة، كما أنه لا نعيم له فى الآخرة، ولا فوز إلا بجواره فى دار النعيم فى الجنة

الآجلة، فله جنتان، لا يدخل الثانية منهما إن لم يدخل الأولى.

قال ابن تيمية: « إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة».

وقال بعض العارفين: « أنه ليمر بالقلب أوقات: أقول: إن كان أهل الجنة فى مثل هذا، إنهم لفى عيش طيب».

وقال بعض المحبين: مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب مافيها، قالوا: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله، والأنس به، والشوق إلى لقائه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه... أو نحو هذا من الكلام.

وكل من له قلب حى يشهد هذا ويعرفه ذوقاً.

وهذه الأشياء الخمسة: قاطعة عين هذا، حائلة بين القلب وبينه، عائقة له عن سيره، محدثة له أمراضا وعللاً إن لم يتداركها المريض خيف عليه منها.

فأما ما تؤثره كثرة الخلطة: فامتلاء القلب من دخان أنفاس بنى آدم حتى يسود، ويوجب له تشتتا، وهما وغماً، وضعفاً، وحملاً لما يعجز عن حمله من قوته قرناء السوء، وإضاعة مصالحه، والاشتغال عنها بهم وبأمورهم، وينقسم فكره فى أودية مطالبهم وإرادتهم، فماذا يبقى منه الله والدار الآخرة؟

هذا، وكم جلبت خلطة الناس من نقمة، ودفعت من نعمة؟ وأنزلت من محنة، وعطلت من منحة، وأحلت من رزية، وأوقعت فى بلية؟ وهل آفة الناس إلا الناس؟ وهل كان على بن أبى طالب - عند الوفاة - أخبر عن قرناء السوء؟ لم يزالوا به حتى حالوا بينه وبين كلمة واحدة توجب له سعادة الأبد.

وهذه الخلطة التى تكون على نوع مودة فى الدنيا، وقضاء وطر بعضهم من بعض، تنقلب إذا حقت الحقائق عداوة، وبعض المخلط عليها يعض يديه ندماً، كما قال تعالى: ﴿ **يوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا. يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلا. لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى** ﴾.

وقال تعالى: ﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين** ﴾.

وقال خليله إبراهيم لقومه: ﴿ **إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً. ومأواكم النار وما لكم من ناصرين** ﴾.

وهذا شأن كل مشتركين فى غرض، يتوادون ماداموا متساعدين على حصوله، فإذا انقطع ذلك الغرض أعقب ندامة وحزناً وألماً، وانقلبت تلك المودة بغضاً ولعنة، وذما من بعضهم لبعض، لما انقلب ذلك الغرض حزناً وعذابا، كما يشاهد فى هذه الدار من أحوال المشتركين فى خزيه، إذ أخذوا وعوقبوا، فكل متساعدين على باطل، متوادين عليه: لابد أن تنقلب مودتهما بغضا وعداوة.

والضابط النافع فى أمر الخلطة: أن يخالط الناس فى الخير كالجمعة والجماعة، والأعياد والحج، وتعلم العلم، والجهاد، والنصيحة، ويعتزلهم فى الشر، وفضول المباحات، فإذا دعت الحاجة إلى خلطتهم فى الشر، ولم يمكنه اعتزالهم: فالحذر الحذر أن يوافقهم، وليصبر على أذاهم، فإنهم لابد أن يؤذوه إن لم يكن له قوة ولا ناصر، ولكن أذى يعقبه عز ومحبة له وتعظيم، وثناء عليه منهم ومن المؤمنين ومن رب العالمين، وموافقتهم يعقبها ذل وبغض له، ومقت، وذم منهم ومن المؤمنين، ومن رب العالمين.

فالصبر على أذاهم خير وأحسن عاقبة، وأحمد مآلاً، وإن دعت الحاجة إلى خلطتهم فى فضول المباحات، فليجتهد أن يقلب ذلك المجلس طاعة لله، إن أمكنه، ويشجع نفسه ويقوى قلبه، ولا يلتفت إلى الوارد الشيطانى القاطع له عن ذلك، بأن هذا رياء ومحبة لإظهار علمك وحالك، ونحو ذلك، فليحاربه، وليستعن بالله ويؤثر فيهم من الخير ما أمكنه.

فإن أعجزته المقادير عن ذلك فليسل قلبه من بينهم كالشعرة من العجين وليكن فيهم حاضراً غائبا، قريبا بعيداً، نائما يقظاناً، ينظر إليهم ولا يبصرهم، ويسمع كلامهم ولا يعيه؛ لأنه قد أخذ قلبه من بينهم ، ورقى به إلى الملأ الأعلى، يسبح حول العرش مع الأرواح العلوية الزكية.

وما أصعب هذا وأشقه على النفوس، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، وبين العبد وبينه أن يصدق الله تبارك وتعالى ويديم الملجأ إليه، ويلقى نفسه على بابه طريحاً ذليلاً، ولا يعين على هذا إلا محبة صادقة، والذكر الدائم بالقلب واللسان، وتجنب المفسدات الأربع الباقية الآتى ذكرها ولا ينال هذا إلا بعدة صالحة ومادة قوة من الله عز وجل وعزيمة صادقة وفراغ من التعلق بغير الله تعالى، والله تعالى أعلم.

أما عن المفسد الثانى من مفسدات القلب:

فهو ركوبه بحر التمنى، وهو بحر لا ساحل له، وهو البحر الذى يركبه مفاليس العالم، كما قيل: إن المنى رأس أموال المفاليس، وبضاعة ركابه مواعيد الشيطان وخيالات المحال والبهتان، فلا تزال أمواج الأمانى الكاذبة، والخيالات الباطلة، تتلاعب براكبه كما تتلاعب الكلاب بالجيفة، وهى بضاعة كل نفس مهينة خسيسة سفلية، ليست لها همة تنال بها الحقائق الخارجة، بل اعتاضت عنها بالأمانى الذهنية، وكل بحسب حاله: من متمن للقدرة والسلطان، وللضرب فى الأرض والتطواف فى البلدان، أو للأموال والأثمان، أو للنسوان والمردان، فيمثل المتمنى صورة مطلوبة فى نفسه وقد فاز بوصولها، والتذ بالظفر بها، فبينما هو على هذه الحال، إذا استيقظ فإذا يده والحصير. وصاحب الهمة العلية أمانيه حائمة حول العلم والإيمان، والعمل الذى يقربه إلى الله، ويدانيه من جواره.

فأمانى هذا إيمان ونور وحكمة، وأمانى أولئك خدع وغرور.

وقد مدح النبى ﷺ، متمنى الخير، وربما جعل أجره فى بعض الأشياء كأجر فاعله، كالقائل: لو أن لى مالاً لعملت بعمل فلان الذى يتقى فى ماله ربه، ويصل فيه رحمه، ويخرج منه حقه، وقال: « **هما فى الأجر سواء**».

وتمنى ﷺ فى حجة الوداع: أنه لو كان تمتع وحل ولم يسبق الهدى، وكان قد قرن، فأعطاه الله ثواب القرآن بفعله، وثواب التمتع الذى تمناه بأمنيته، فجمع له بين الأجرين.

أيهاالإخوة المؤمنون: أحباب الحبيب المصطفى محمد...

وجئنا إلى المفسد الثالث: من مفسدات القلب وهو التعلق بغير الله تبارك وتعالى:

وهذا أعظم مفسداته على الإطلاق فليس عليه أضر من ذلك، ولا أقطع له عن مصالحه وسعادته منه، فإنه إذا تعلق بغير الله وكله الله إلى ما تعلق به، وخذله من جهة ما تعلق به، وفاته تحصيل مقصوده من الله عز وجل، بتعلقه بغيره، والتفاته إلى سواه، فلا على نصيبه من الله حصل، ولا إلى ما أمله ممن تعلق به وصل، قال الله تعالى: **﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون**

بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا﴾[1] .

وقال تعالى : **﴿واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون﴾**[2] .

فأعظم الناس خذلاناً من تعلق بغير الله ، فإن ما فاته من مصالحه وسعادته وفلاحه ، أعظم مما حصل له ممن تعلق به ، وهو معرض للزوال والفوت ، ومثل المتعلق بغير الله : كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت ، أوهن البيوت .

وبالجملة : فأساس الشرك وقاعدته التى بنى عليها : التعلق بغير الله ، ولصاحبه الذم والخذلان ، كما قال تعالى : **﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولا﴾**[3] مذموماً : لا حامد لك ، مخذولا : لا ناصر لك ، إذ يكون بعض الناس مقهورا محموداً كالذى قهر بالباطل ، وقد يكون مذموماً منصوراً ، كالذى قهر وتسلط عليه بالباطل ، وقد يكون محموداً منصوراً كالذى تمكن وتسلط بحق ، والمشرك المتعلق بغير الله قسمه من الأقسام الأربعة ، لا محمود ولا منصور .

أيها المؤمنون : فى الأثر« **التائب حبيب الرحمن ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له** » فاستغفروا الله وتوبوا إليه .

***

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . . ولى الصالحين . .

وأشهد أن لا إله إلا الله . . الملك الحق المبين .

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمداً رسول الله الصادق الوعد الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وآل بيته أجمعين .

أما بعد أيها الأخوة المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد .

وجئنا إلى المفسد الرابع من مفسدات القلب وهو الطعام . .

والمفسد له من ذلك نوعان : **أحدهما** : ما يفسده لعينه وذاته كالمحرمات ، وهى

(١) سورة مريم : ٨١ ، ٨٢ . (٢)سورة يس : ٧٥ . (٣) سورة الإسراء : ٢٢ .

نوعان: محرمات لحق الله كالميتة والدم، ولحم الخنزير، وذى الناب من السباع والمخلب من الطير، ومحرمات لحق العباد، كالمسروق والمغصوب والمنهوب وما أخذ بغير رضى صاحبه إما قهرا وإما حياء وندماً.

والثاني: ما يفسده بقدره وتعدى حده، كالإسراف فى الحلال، والشبع المفرط فإنه يثقله عن الطاعات، ويشغله بمزاولة مؤنة البطنة ومحاولاتها، حتى يظفر بها فإذا ظفر بها شغله بمزاولة تصرفها ووقاية ضررها، والناذى بثقلها قوى عليه مواد الشهوة، وطرق مجارى الشيطان ووسعها، فإنه يجرى من ابن آدم مجرى الدم.

فالصوم يضيق مجاريه ويسد عليه طرقه، والشبع يطرقها ويوسعها، ومن أكل كثيراً شرب كثيراً، فنام كثيراً فخسر كثيراً.

وفى الحديث المشهور«**ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه،بحسب ابن آدم لقيمات تقمن صلبه، فإن كان فاعلاً فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**» أ هـ.

ويحكى أن إبليس لعنه الله عرض ليحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام فقال له يحيى: هل نلت منى شيئاً قط؟ قال: لا إلا أنه قدم إليك الطعام ليلة فشهيته إليك حتى شبعت منه، فنمت عن وردك، فقال يحيى: لله علىّ أن لا أشبع من طعام أبداً، فقال إليس: ولله علىّ أن لا أنصح آدمياً أبداً» أ . هـ.

أيها الإخوة المؤمنون: أحباب الحبيب المصطفى محمد.

وجئنا إلى المفسد الخامس من مفسدات القلوب وهو كثرة النوم.

فإن كثرة النوم يميت القلب، وينقل، ويضيع الوقت، ويورث كثرة الغفلة والكسل، ومنه المكروه جداً ومنه الضار غير النافع للبدن.

وأنفع النوم: ما كان عند شدة الحاجة إليه، ونوم أول الليل أنفع وأحمد عن آخره، ونوم وسط النهار أنفع من طرفيه، وكلما قرب النوم من الطرفين قل نفعه، وكثر ضرره، ولاسيما نوم العصر، والنوم أول النهار إلا لسهران.

ومن المكروه عندهم: النوم بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، فإنه وقت غنيمة، وللسير ذلك الوقت عند السالكين مزية عظيمة، حتى لو ساروا طول ليلهم لم يسمحهم بالعقود وعن السير ذلك الوقت حتى تطلع الشمس، فإنه أول النهار

ومفتاحه، ووقت نزول الأرزاق، وحصول القسم، وحلول البركة، ومنه ينشأ النهار، وينسحب حكم جميعه على حكم تلك الحصة، فينبغى أن يكون نومها كنوم المضطر.

وبالجملة فأعدل النوم وأنفعه: نوم نصف الليل الأول، وسدسه الأخير، وهو مقدار - ثمان ساعات، وهذا أعدل النوم عند الأطباء، وما زاد عليه أو نقص منه أثر عندهم فى الطبيعة انحرافاً يحسبه.

ومن النوم الذى لا ينفع أيضاً: النوم أول الليل، عقيب غروب الشمس حتى تذهب فحمة العشاء، وكان رسول الله ﷺ يكرهه فهو مكروه شرعاً وطبعاً.

وكما أن كثرة النوم مورثة لهذه الآفات، فمدافعته وهجره، ورث لآفات أخرى عظام: من سوء المزاج ويبسه، وانحراف النفس، وجفاف الرطوبات المعينة على الفهم والعمل، ويورث أمراضاً متلفة لا ينتفع صاحبها بقلبه ولا بدنه معها، وما قام الوجود إلا بالعدل، فمن اعتصم به فقد أخذ بحقه من مجامع الخير.. والله المستعان.

اللهم إنا نسألك صلاح قلوبنا، اللهم أصلح فساد قلوبنا، وأنزع الغل والحقد والحسد من صدورنا، وأصلح ذات بيننا.

عباد الله:

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾.

اذكروا الله العظيم يذكركم.. وأقم الصلاة.

***

١١ ـ الفرار إلى الله

الحمد لله رب العالمين . . يا رب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك فأنت الله؛ لا إله غيرك، ولا رب سواك.

أسألك يا الله أن تجنبنا موارد الظالمين، وأن تجعلنا عند سكرة الموت ووحشة القبر ووقفة الحساب من الآمنين.

وأشهد أن لا إله إلا الله؛ الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء، **﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم﴾**.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا وقدوتنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمداً.

أرسله الله رحمة للعالمين، وإماماً للأولين والآخرين، ومخرجاً من الظلمات إلى النور.

فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وذريته أجمعين.

أما بعد:

أيها الإخوة المؤمنون: أحباب الحبيب المصطفى محمد.

الناس يفر بعضهم من البعض.

فالمذنب يفر ممن أذنب إليه. تلك حقيقة نلمسها ونعيشها. . ولكننا حينما نذنب فى حق الله فإننا نفر إليه لا منه.

فأردت أن أقف بينكم اليوم متحدثاً عن معنى «الفرار».

أيها الأخوة المؤمنون: أحباب الحبيب المصطفى محمد. .

قال الله تعالى: **﴿ ففروا إلى الله﴾** [١] وحقيقة الفرار: الهرب من شىء إلى شىء، وهو نوعان: فرار السعداء، وفرار الأشقياء.

ففرار السعداء: الفرار إلى الله عز وجل، وفرار الأشقياء: الفرار منه لا إليه، وأما الفرار منه إليه ففرار أوليائه، قال ابن عباس فى قوله تعالى: **﴿ ففروا إلى الله﴾**: فروا منه إليه، واعملوا بطاعته .

---

(١) سورة الذاريات: ٥٠.

قال صاحب (منازل السائرين).

« هو الهرب مما لم يكن إلى من لم يزل، وهو على ثلاث درجات، فرار العامة من الجهل إلى العلم عقداً وسعياً، ومن الكسل إلى التشمير جداً وعزماً، ومن الضيق إلى السعة ثقة ورجاء».

قوله: « **فرار العامة: من الجهل إلى العلم عقداً وسعياً**».

« الجهل» نوعان: عدم العلم بالحق النافع، وعدم العمل ومقتضاه.

فكلاهما جهل لغة وعرفاً وشرعاً وحقيقة.

قال موسى: ﴿**أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين**﴾[1] لما قال له قومه: ﴿**أتتخذنا هزوا**﴾ أى من المستهزئين.

وقال يوسف الصديق: ﴿**إلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين**﴾[2] أى من مرتكبى ما حرمت عليهم.

وقال تعالى: ﴿ **إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة**﴾[3].

قال قتادة: أجمع أصحاب رسول الله ﷺ أن كل ما عصى الله به فهو جهالة، وقال غيره: أجمع الصحابة أن كل من عصى الله فهو جاهل.

وقال الشاعر:

ألا لا يجهلن أحد علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وسمى عدم مراعاة العلم جهلاً، إما لأنه لم ينتفع به، منزَّل منزلة الجهل، وإما لجهله بسوء ما تجنى عواقب فعله.

فالفرار المذكور: هو الفرار من الجهلين: من الجهل بالعلم إلى تحصيله، اعتقاداً ومعرفة وبصيرة، ومن جهل العمل، إلى السعى النافع، والعمل الصالح قصداً وسعيا.

قوله: « **ومن الكسل إلى التشمير جداً وعزماً**».

أى يفر من إجابة داعى الكسل إلى داعى العمل والتشمير بالجد والاجتهاد.

و«الجد»هنا هو صدق العمل، وإخلاصه من شوائب الفتور، ووعود التسويف

---

(١) سورة البقرة: ٦٧.   (٢) سورة يوسف: ٣٣.   (٣) سورة النساء: ١٧.

والتهاون، وهو تحت السين وسوف، وعسى ، ولعل، فهى أضر شيء على العبد، وهى شجرة ثمرها الخسران والندامات.

والفرق بين الجد والعزم، أن العزم: صدق الإرادة واستجماعها، و« الجد» صدق العمل وبذل الجهد فيه، وقد أمر الله سبحانه وتعالى بتلقى أوامره بالعزم والجد، فقال:

﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾[1] وقال : **﴿ وكتبنا له فى الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة﴾** [2] وقال: **﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾**[3] أى بجد واجتهاد وعزم، كمن يأخذ ما أمر به بتردد وفتور.

وقوله: « **ومن الضيق إلى السعة ثقة ورجاء**».

يريد هروب العبد من ضيق صدره بالهموم والغموم والأحزان والمخاوف التى تعتريه به فى هذه الدار من جهة نفسه، وما هو خارج عن نفسه يتعلق بأسباب مصالحه، ومصالح من يتعلق به، وما يتعلق بماله وبدنه وأهله وعدوه، يهرب من ضيق صدره بذلك كله إلى سعة قضاء الثقة بالله تبارك وتعالى، وصدق التوكل عليه، وحسن الرجاء الجميل صفة به، وتوقع المرجو من لطفه وبره، ومن أحسن كلام العامة قوله :لا هم مع الله.

قال الله تعالى: **﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾**[4].

قال الربيع بن خيثم يجعل له مخرجاً من كل ما ضاق على الناس، وقال أبو العتالية: مخرجاً من كل شدة، وهذا جامع لشدائد الدنيا والآخرة، ويضايق الدنيا والآخرة، فإن الله يجعل للمتقى من كل ما ضاق على الناس واشتد عليهم فى الدنيا مخرجاً، وقال الحسن: مخرجاً لما نهاه عنه **﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾**[5] أى كافى من يثق به فى نوائبه ومهماته،يكفيه كل ماأهمه، و«الحسب»: الكافى، **﴿حسبنا الله﴾** [6] : كافينا الله وكلما كان العبد حسن الظن بالله، حسن الرجاء له، صادق التوكل عليه، فإن الله لا يخيب أمله فيه ألبته، فإنه سبحانه لا يخيب أمل آمل، ولا يضيع عمل عامل، وغيرهم الثقة وحسن الظن بالسعة، فإنه

(١) سورة البقرة: ٦٣ . (٢) سورة الأعراف: ١٤٥ . (٣) سورة مريم : ١٢ .
(٤) سورة الطلاق: ٢، ٣ . (٥) سورة الطلاق: ٣. (٦) سورة التوبة: ٥٩.

لا أشرح للصدر، ولا أوسع له بعد الإيمان من ثقته بالله ورجائه له وحسن ظنه به.

أما فرار الخاصة من الخبر إلى الشهود، ومن الرسوم إلى الأصول، ومن الحظوظ إلى التجريد.

أى أنهم لا يرضون أن يكون إيمانهم من مجرد خبر، حتى يترقوا منه إلى مشاهدة المخبر عنه، فيطلبون الترقى من علم اليقين بالخبر، إلى عين اليقين بالشهود كما طلب إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه: ذلك من ربه إذ قال **﴿ رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى﴾**[1].

فطلب إبراهيم أن يكون اليقين عياناً، والمعلوم مشاهداً، وهذا هو المعنى الذى عبر عنه النبى ﷺ بالشك فى قوله: « **نحن أحق بالشك من إبراهيم**» حيث قال: **﴿ رب أرنى كيف تحيى الموتى﴾** وهو ﷺ لم يشك ولا إبراهيم حاشاهما من ذلك، وإنما عبر عن هذا المعنى بهذه العبارة.

أما الفرار من الحظوظ إلى التجريد: أى الفرار من حظوظ النفوس على اختلاف مراتبها، فإنه لا يعرفها إلا المعتنون بمعرفة الله ومراده، وحقه على عبده ومعرفة نفوسهم وأعمالهم وآفاتها، ورب مطالب عالية لقوم من العباد هى حظوظ لقوم آخرين يستغفرون الله منها ويفرون إليه منها، يرونها حائلة بينهم وبين مطلوبهم وبالجملة فالحظ ماسوى مراد الله الدينى منك كائناً ما كان، وهو ما يبرح حظ محرم إلى مكروه إلى مباح إلى مستحب، غيره أحب إلى الله منه، ولا يتميز هذا إلا فى مقام الرسوخ فى العلم بالله وأمره، وبالنفس وصفاتها وأحوالها.

فهناك من الحظوظ من الحقوق، ويفر من الحظ إلى التجريد، وأكثر الناس لا يصلح لهم هذا؛ لأنهم إنما يعبدون الله على الحظوظ وعلى مرادهم منه، وأما تجريد عبادته على مراده من عبده.

فتلك منزلة لم يعطها أحد	سوى نبى وصديق من البشر
والزهد زهدك فيها ليس زهدك فى	ما قد أبيح لنا فى محكم السور
والصدق صدقك فى تجريدها وكذا الـ	إخلاص تخليصها إن كنت ذا بصر
كذا توكل أرباب البصائر فى	تجريد أعمالهم من ذلك الكدر

(١) سورة البقرة: ٢٦٠.

كــذا تـوبتهـم مـنـهـا فـهـم أبـداً   فى تـوبـة أو يصيـروا داخـل الحفـر

وبالجملة فصاحب هذا التجريد: لا يقنع من الله بأمر يسكن إليه دون الله، ولا مفرح بما حصل له دون الله، ولا يأس على ما فاته سوى إلا بالله، ولا يفتقر إلا إلى الله، ولا يفرح إلا بموافقة لمرضاة الله، ولا يحزن إلا على ما فاته من الله ولا يخاف إلا من سقوطه من عين الله، واحتجاب الله عنه، فكله بالله، وكله لله، وكله مع الله، وسيره دائماً إلى الله، قد رفع له علم فشمر إليه، وتجرد له مطلوبه فعمل عليه، تناديه الحظوظ: الجنة، وهى تقول: إنما أريد من إذا حصل لى حصل لى كل شىء، وإذا فاتنى فاتنى كل شىء، فهو مع الله مجرد عن خلقه، ومع خلقه مجرد عن نفسه، ومع الأمر مجرد عن حظه، أعنى الحق المزاحم للأمر، وأما الحظ المعين على الأمر فإنه لايحطه تناوله عن مرتبته، ولا يسقطه من عين ربه، وهذا أيضاً موضع غلط من غلط من الشيوخ، فظنوا أن إرادة الحظ نقص فى الإرادة.

والتحقيق فيه: إن الحظ نوعان حظ يزاحم الأمر، وحظ يؤازر الأمر فينفذه فالأول: هو المذموم، والثانى: ممدوح، وتناوله من تمام العبودية، فهذا لون وهذا لون.

فتوبوا أيها المؤمنون إلى ربكم، وفروا إليه.

***

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، ولى الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رسول المحبة والسلام، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها الإخوة المؤمنون: أحباب الحبيب المصطفى محمد ما سبق كان حديثا عن الفرار فرار العبد من وإلى، ثم عرضنا لفرار الخاصة من الناس. .ويتساءل بعضنا: إذا كان هناك فرار الخاصة، فهل هناك فرار خاصة الخاصة؟

نعم يا أخى:

فرار خاصة الخاصة: مما دون الحق إلى الحق، ثم من شهود الفرار إلى الحق،

ثم الفرار من مشهد والفرار.

أيها المؤمن: الناس عندما يجزع بعضهم من بعض يفر منه، وحينما يخاف عبد من سلطان يخرج بعيداً عن مملكته، وعندما يخاف الابن من أبيه يبعد بعيدا عنه، ويتمنى أن يختفى كثيرا فى مأمن منه ولكن الحال مختلف ههنا، فالعبد إذا خاف من الله فر إليه لا بعيداً منه. لأن اللجوء إليه منتهى الأمان واجتناب الخوف.

اللجوء إلى الله هو الأمان والاطمئنان.

ففروا إلى الله أيها المسلمون، تاركين ملذاتها، وغايتها، وزخرفتها وهيامها وزينتها.

ففروا إلى الله أيها المسلمون: لتفوزوا بجنته وتنعموا برضاه، وتكتب لكم الجنان يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ففروا إلى الله فلن تجدوا خيراً منه ملجأ، ولا أحسن منه وجهة.

ففروا إلى الله، ثم فروا إلى الله، ثم فروا إلى الله... فتفوزوا برضوان الله.

اللهم أحسن ختامنا، وأصلح أحوالنا، وارزقنا التقوى مع العلم، والصحة مع الإيمان.

اللهم اجعل آخر كلامنا« لا إله إلا الله» وخير أيامنا يوم لقائك برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله:

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾.

اذكروا الله العظيم يذكركم.. وأقم الصلاة

***

١٢ ـ الخشوع

الحمد لله رب العالمين. . . ولى الصالحين. .

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، خشعت له الدنيا بأسرها: الهوام فى مكانها، والأسماك فى بحارها، والأُسد فى عرينها والطيور فى هوائها.

وأشهد أن سيدناوحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمدًا. .

اصطفاه الله رحمة للعالمين، وحجة للمرشدين، ومحبة للمسترشدين، ونقمة على الكافرين، وقامعاً للملحدين، وإماما للأولين والآخرين .

فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وذريته أجمعين. .

أما بعد:

أيها الإخوة المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى. .

خشعت الدنيا لله . . الكل يخشع له جل فى علاه. . الكل يخشاه. .

وقد ناداهم مراراً أن يخشعوا، ويخضعوا له، لمصلحتهم، وحسابهم.

قال الله تعالى: ﴿ **ألم يئن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق** ﴾[١].

قال ابن مسعود رضى الله عنه: «ما كان بين أسلافنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين» وقال ابن عباس: « إن الله استبطأ قلوب المؤمنين، فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن» أ . هـ.

وقال تعالى: ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون**﴾[٢].

و« الخشوع» فى أصل اللغة: الانخفاض، والذل والسكون، قال تعالى: ﴿**وخشعت الأصوات للرحمن**﴾[٣] أى سكنت، وذلت، وخضعت. ومنه وصف الأرض بالخشوع،وهو يبسها، وانخفاضها، وعدم ارتفاعها بالرى والنبات. قال الله تعالى: ﴿ **ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت**

---

(١) سورة الحديد : ١٦.　　(٢) سورة المؤمنون: ١.　　(٣) سورة طه: ١٠٨

وربت﴾[1].

والخشوع قيام القلب بين يدى الرب بالخضوع والذل والجمعية عليه فمن علاماته: أن العبد إذا خولف ورد عليه بالحق، استقبل ذلك بالقبول والانقياد.

وقيل « الخشوع» خمود نيران الشهوة، وسكون دخان الصدور وإشراق نور التعظيم فى القلب.

وقال الجنيد: الخشوع تذييل القلوب لعلام الغيوب.

وأجمع العارفون على أن الخشوع محله القلب، وغرته على الجوارح، وهى تظهره، ورأى النبى ﷺ رجلاً يعبث بلحيته فى الصلاة، فقال: «**لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه**».

وقال النبى ﷺ: « **التقوى ههنا ـ وأشار إلى صدره ـ ثلاث مرات**» أ . هـ .

وقال بعض العارفين: حسن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن، ورأى بعضهم رجلاً خاشع المنكبين والبدن، فقال: يا فلان، الخشوع ههنا، وأشار إلى صدره، لا ههنا ، وأشار إلى منكبيه.

وكان بعض الصحابة رضى الله عنهم وهو حذيفة، يقول: «إياكم وخشوع النفاق، فقيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع».

ورأى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ رجلاً طأطأ رقبته فى الصلاة فقال: « ياصاحب الرقبة، ارفع رقبتك، ليس الخشوع فى الرقاب، إنما الخشوع فى القلوب».

ورأت عائشة رضى الله عنها « شباباً يمشون ويتماوتون فى مشيتهم فقالت لأصحابها: من هؤلاء؟ فقالوا: نُسّاك، فقالت: كان عمر بن الخطاب إذا مشى أسرع، وإذا قال: أسمع، وإذا ضرب: أوجع وإذا أطعم: أشبع، وكان هو الناسك حقا».

وقال الفضيل بن عياض: «كان يكره أن يرى الرجل من الخشوع أكثر مما فى قلبه».

وقال حذيفة رضى الله عنه: « أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما

---

(١) سورة فصلت: ٣٩.

تفقدون من دينكم الصلاة، ورب مصل لا خير فيه، ويوشك أن يدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيهم خاشعاً».

وقال سهل: « ومن خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان».

وقيل: « الخشوع : خمود النفس، وهمود الطباع المتعاظم، أو مفزع».

أى: انقباض النفس والطبع، وهو خمود قوى النفس عن الانبساط لمن له فى القلوب عظمة ومهابة، أو لما يفزع منه القلب.

والحق أن« الخشوع» معنى يلتئم من التعظيم والمحبة، والذل والانكسار.

أيها الأخوة المؤمنون: أحباب الحبيب المصطفى محمد. .

والخشوع على ثلاث درجات..

أما الدرجة الأولى: فهى التذلل للأمر، والاستسلام للحكم، والإخضاع لنظر الحق.

والتذلل للأمر، تلقيه بذلك القبول والانقياد والامتثال، ومواطأة الظاهر الباطن، مع إظهار الضعف، والافتقار إلى الهداية للأمر قبل الفعل، والإعانة عليه حال الفعل، وقبوله بعد الفعل.

وأما الاستسلام للحكم، فيجوز أن يكون معناه: الحكم الدينى الشرعى.

والحق: أن الخشوع هو الاستسلام للحكمين، وهو الانقياد بالمسكنة والذل لأمر الله وقضائه.

وأما الإخضاع لنظر الحق. فهو إخضاع القلب والجوارح، وانكسارها لنظر الرب إليها، وإطلاعه على تفاصيل ما فى القلب والجوارح، وهذا أحد التأولين فى قوله تعالى: ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾[1]، وقوله: ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى**﴾[2]، وهو مقام الرب على عبده بالاطلاع والقدرة والربوبية.

فخوفه من هذا المقام: يوجب له خشوع القلب لا محالة، وكلما كان أشد استحضاراً له كان أشد خشوعاً، وإنما يفارق القلب إذا غفل عن اطلاع الله عليه، ونظره إليه.

(١) سورة الرحمن: ٤٦ . (٢) سورة النازعات: ٤٠ .

والتأويل الثانى: أنه مقام العبد بين يدى ربه عند لقائه.

فعلى الأول: يكون من باب إضافة المصدر إلى الفاعل.

وعلى الثانى: وهو أليق بالآية يكون من باب إضافة المصدر إلى المخوف والله أعلم.

أما الدرجة الثانية: فهى ترقب آفات النفس، ورؤية فضل كل ذى فضل عليك.

أى: انتظار ظهور نقائص نفسك وعملك وعيوبها لك، فإنه يجعل القلب خاشعاً لا محالة، لمطالعة عيوب نفسه وأعماله ونقائصهما من الكبر والعجب، والرياء، وضعف الصدق، وقلة اليقين، وتشتت النية، وعدم تجرد الباعث من الهوى النفسانى، وعدم إيقاع العمل على الوجه الذى ترضاه لربك، وغير ذلك من عيوب النفس، ومعوذات الأعمال.

وأما رؤية فضل كل ذى فضل عليك، فهو أن تراعى حقوق الناس فتؤديها ولا ترى أن ما فعلوه من حقوقك عليهم فلا تعاوضهم عليها، فإن هذا من رعونات النفس وحماقاتها ولا تغاليهم بحقوق نفسك وتعترف بفضل ذى الفضل منهم، وتنسى فضل نفسك.

وأما الدرجة الثالثة: فهى حفظ الحرمة عند المكاشفة، وتصفية الوقت من مراءاة الخلق وتجريد رؤية الفضل.

أما حفظ الحرمة عند المكاشفة، فهو ضبط النفس بالذل والانكسار، عن البسط والإدلال، الذى تقتضيه المكاشفة، فإن المكاشفة توجب بسطاً ويخاف منه سطح، إن لم يصحبه خشوع يحفظ الحرمة وأما تصفية الوقت من مراءاة الخلق، فليس معناه: أنه يصفى وقته عن الرياء، فإن أصحاب هذه الدرجة أجل قدراً وأعلى من ذلك.

وإنما المراد: أنه يخفى أحواله عن الخلق جهده، لخشوعه وذله وانكساره، لئلا يراها الناس فيعجبه اطلاعهم عليها، ورؤيتهم لها، فيفسد عليه وقته وقلبه وحاله مع الله، وكم قد اقتطع فى هذه المفازة من سالك، والمعصوم من عصمه الله، فلا شىء أنفع للصادق من التحقق بالمسكنة والفاقة والذل، وأنه لا شىء، وأنه ممن لم يصح له بعد الإسلام حتى يدعى الشرف فيه.

تأمل قول شيخ الإسلام حينما لقب..

أنا الفقير إلى رب البريات | أنا المسكين فى مجموع حالاتى
أنا الظلوم لنفسى، وهى ظالمتى | والحى إن يأتينا من عنده آتى
لا أستطيع لنفسى جلب منفعة | ولا عن النفس لى دفع المضرات
وليس لى دونه مولى يدبرنى | ولا شفيع إذا حاطت خطيئاتى
إلا بإذن من الرحمن خالقنا | إلى الشفيع، كما قد جاء فيا لآيات
ولست أملك شيئا دونه أبدا | ولا شريك أنا فى بعض ذرات
ولا ظهير له، كى يستعين به | كما يكون لأرباب الولايات
والفقر لى وصف ذات لازم أبدا | كما الغنى أبداً وصف له ذاتى
وهذه حال الخلق أجمعهم | فهو الجهول الظلوم المشرك العاتى
والحمد لله ملء الكون أجمعه | ما كان منه وما من بعد قد يأتى

وأما تجريد رؤية الفضل: فهو أن لا يرى الفضل والإحسان إلا من الله، فهو المان بلا سبب منك، ولا شفيع لك تقدم إليه بالشفاعة، ولا وسيلة سبقت منك توسلت بها إلى إحسانه.

والتجريد: هو تخليص شهود الفضل بوليه، حتى لا ينسبه إلى غيره، وإلا فهو فى نفسه مجرد عن النسبة إلى سواه، وإنما الشأن فى تجريده فى الشهود، ليطابق الشهود الحق فى نفس الأمر.

أيها المؤمنون: فاتقوا الله ما استطعتم، وتوبوا إليه، وأكثروا من الاستغفار والصلاة على النبى ﷺ.

***

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين.. ولى الصالحين..

وأشهد أن لا إله إلا الله .. الملك الحق المبين..

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله: المبعوث رحمة للعالمين.. فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وذريته أجمعين.

أما بعد:

أيها الإخوة المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد . .

وربما نتساءل ونحن نتكلم عن الخشوع فنقول: ما تقولون فى صلاة من عدم الخشوع: هل يعتد بها أم لا؟

والإجابة : أما الاعتداد بها فى الثواب، فلا يعتد له فيها. إلا بما عقل فيه منها، وخشع فيه لربه.

قال ابن عباس رضى الله عنهما: « ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها».

وفى المسند مرفوعاً « **إن العبد يصلى الصلاة، ولم يكتب له إلا نصفها، أو ثلثها، أو ربعها حتى بلغ عشرها**».

وقد علق الله فلاح المصلين بالخشوع فى صلاتهم، فدل على أن من لم يخشع فليس من أهل الفلاح، ولو اعتد له بها ثواباً لكان من المفلحين. .

وأما الاعتداد بها فى أحكام الدنيا، وسقوط القضاء، فإن غلب عليها الخشوع وتعلقها اعتد بها إجماعا، وكانت السنن، والأذكار عقبيها جوابر ومكملات لنقصها.

وإن غلب عليه عدم الخشوع فيها، وعدم تعقلها، فقد اختلف الفقهاء فى وجوب إعادتها، فأوجبها أبو عبد الله بن حامد من أصحاب أحمد، وأبو حامد الغزالى فى إحيائه، لا فى وسيطه وبسيطه.

واحتجوا بأنها صلاة لا يثاب عليها ، ولم يضمن له فيها الفلاح، فلم تبرأ ذمته منها، ويسقط القضاء عنه كصلاة المرائى.

قالوا: ولأن الخشوع والعقل: روح الصلاة ومقصودها ولبها، فكيف يعتد بصلاة فقدت روحها ولبها، وبقيت صورتها وظاهرها؟

قالوا: وقد قال تعالى: ﴿**فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون**﴾[1].

وليس السهو عنها تركها، وإلا لم يكونوا مصلين، وإنما هو السهو عن واجبها إما عن الوقت، كما قال ابن مسعود وغيره وإما عن الخضوع والخشوع.

---

(١) سورة الماعون: ٤، ٥.

والصواب: أنه يعم النوعين فإنه سبحانه أثبت لهم صلاة ، ووصفهم بالسهو عنها فهو السهو عن وقتها الواجب، أو عن إخلاصها وحضورها الواجب، ولذلك وصفهم بالرياء، ولو كان السهو سهو ترك لما كان هناك رياء.

قالوا: ولو قدرنا أنه السهو عن واجب فقط، فهو تنبيه على التوعد بالويل على سهو الإخلاص والحضور بطريق الأولى لوجوه.

أحدها: أن الوقت يسقط فى حال العذر، وينتقل إلى بدله، والإخلاص والحضور لا يسقط بحال، ولا بدل له.

الثانى: أن واجب الوقت يسقط لتكميل مصلحة الحضور. فيجوز الجمع بين الصلاتين للشغل المانع من فعل إحداهما فى وقتها بلا قلب، ولا حضور. كالمسافر، والمريض، وذى الشغل الذى يحتاج معه إلى الجمع، كما نص عليه أحمد وغيره.

فبالجملة: مصلحة الإخلاص والحضور، وجمعية القلب على الله فى الصلاة أرجح فى نظر الشارع من مصلحة سائر واجباتها، فكيف يظن به أنه يبطلها بترك تكبيرة واحدة، أو اعتدال فى ركن، أو ترك حرف، أو شدة من القرآن، أو ترك تسبيحة، أو قول: « سمع الله لمن حمده» أو قول: « ربنا ولك الحمد» أو ذكر رسول الله ﷺ بالصلاة عليه . ثم يصححها مع فوت لبها ومقصودها الأعظم، وروحها وسرها.

اللهم ثبت قلوبنا على دينك، ونفوسنا على طاعتك وأبداننا على العبادة.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا فى أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

عباد الله . . .

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾.

اذكروا الله العظيم يذكركم . . وأقم الصلاة.

* * *

١٣ ـ شرف المجاهد

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ناصر المجاهدين ومبشر المؤمنين الصابرين. **﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز﴾**.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا وقدوتنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمداً. صفيه من خلقه وحبيبه، أقوى المجاهدين، وأشجع المقاتلين، ورافع لواء الحق إلى يوم الدين.

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وأحبابه إلى يوم الدين..

أما بعد:

أيها الأخوة المؤمنون: أحباب الحبيب المصطفى محمد...

للجهاد شرف عظيم..

ذلك أنه يدافع عن بلاده ووطنه.

«ومن مات دون عرضه فهو شهيد.ومن مات دون ماله فهو شهيد».

وهو درجة عظمى عند الله، وللمجاهد شرف أيضا..

فأردت أن أقف بينكم اليوم حول شرف المجاهد..

ـ روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **تضمن الله لمن خرج فى سبيل الله لايخرجه إلا جهاد فى سبيلى وإيمان بى وتصديق برسلى أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة، والذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم فى سبيل الله إلا جاء جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون الدم وريحه ريح المسك ، والذى نفس محمد بيده لولا أن أشق على أمتى ماقعدت خلف سرية، ولوددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل**».

ـ عباد الله: هذا شرف المجاهدين فى سبيل الله، وهذا تكريم الله لهم ووعده

لهم بإحدى الحسنيين إما النصر على الأعداء مع حياة العزة والكرامة وعيش الأحرار الشرفاء، وإما الشهادة فى سبيل الله مع منازل الأبرار الذين أنعم الله عليهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

ومن هنا كان المسلمون يتنافسون فى الجهاد ويتسابقون إلى الميدان لا يتخلف عنهم إلا الضعفاء، والقاعدون وعدتهم فى ذلك الصبر والثبات وشعارهم«**احرص على الموت توهب لك الحياة**»، وغايتهم الدفاع عن أنفسهم وصيانة أوطانهم وحماية دينهم وعقيدتهم.

وما كانت تسيرهم غاية مادية أو يحدوهم هدف دنيوى بل كان يسارعون إلى الجهاد ويلقون بأنفسهم فى ساحات الشرف والكرامة.. وقد سجل التاريخ صوراً رائعة من البطولات التى تثبت بسالة المؤمنين فى الجهاد، وتبين مدى ما وصل إليه إيمانهم القوى وعقيدتهم الراسخة فى ساحات النضال.

وما روى فى هذا الشأن: أن رجلا من الأعراب جاء فآمن بالنبى ﷺ ثم قال: أهاجر معك فأوصى به النبى ﷺ بعض أصحابه فكانت غزوة غنم النبى ﷺ فيها شيئا فقسم وقسم له فقال الرجل ما هذا؟ فقال النبى ﷺ: «**قسمته لك**». قال: ما على هذا تبعتك يا رسول الله، ولكن اتبعتك عن أن أرمى إلى هنا ـ وأشار بيده إلى حلقه ـ بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال النبى ﷺ: «**إن تصدق الله يصدقك**». فلبثوا قليلاً ثم نهضوا فى قتال العدو فأتى به النبى ﷺ محمولاً قد أصابه سهم حيث أشار فقال النبى ﷺ: «**أهو هو؟**» قالوا: نعم، قال: «**صدق الله فصدقه**» ثم كفن فى جبة النبى ﷺ ثم صلى عليه وكان مما ظهر من صلاة النبى ﷺ قوله: «**اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً فى سبيلك فقتل شهيدًا وأنا شهيد على ذلك**».

بل لقد سجل التاريخ بطولات رائعة لبعض النساء المسلمات اللاتى حملن السلاح ومارسن فى الحرب أساليب الكفاح ومنهن نسيبة أم عمارة المازنية التى دافعت يوم أحد بسلاحها ورمت من قوسها حتى أصيبت بجراح كانت أوسمة شرف وفخار لها ولقومها.. ومنهن ذات القناع الأسود خولة بنت الأزور التى أسر أخوها ضرار بن الأزور فى حرب بين العرب والروم فاندفعت برمحها تنقض به كالصاعقة على الأعداء، وأبلت بلاء حسناً.

وهذه الخنساء تحرض أولادها الأربعة على الجهاد والثبات وحين استشهدوا فى موقعة القادسية لم يسعها إلا أن تقول:

« الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم فى سبيل الله وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته».

وهذه هى موقعة القادسية حدث فيها:

أرسل سعد رسلاً إلى كسرى، فتقدموا إليه شارحين له الإسلام، فأراد أن يستهزئ بهم، فسألهم: أين أعظمكم شأنا؟ فعلم أقلهم شأنا ليحمل العار عن كبير القوم. فحمله كيسا ممتلئا بالتراب امتهانا له وإنزالاً لشأنه.. ولكنه كبر، وقال الله أكبر الله أكبر، لقد سلمونا تربة أرضهم بأيديهم.. ورجعوا إلى أصحابهم.. ولكن كسرى بفنونه فى القتال وحنكته استطاع أن يستحوذ على السفن.. فأصبح المسلمون بلا سفن..

فوقف سعد أمامهم وناداهم أن يعبروا الخضم بالخيول، أجن سعد، لا، ولكنه الإيمان.. فعبروا الخضم بخيولهم دون أن يفقدوا وعاء ولاوكاء ولاحبلاً، ودعا أحدهم «اللهم يامن سخرت البحر لأتباع موسى سخره لنا نحن أتباع محمد».

***

الخطبة الثانية

الحمد لله .. وكفى ..وسلام على الذين اصطفى..

وأشهد أن لا إله إلا الله.. ولى الصالحين..

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: الصادق الوعد الأمين..

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبى التقى البهى الوفى القرشى المكى الكريم، وعلى آله وصحبه وأتباعه الطيبين الطاهرين..

أما بعد: أيها الأخوة المؤمنون: أحباب الحبيب المصطفى محمد.

لا شك أن هذه صفحات مشرقة فى تاريخ المسلمين تفيض إيمانا وشجاعة وبسالة وتضحية كانت سبب انتصاراتهم الباهرة فى جميع معاركهم التى خاضوها مع أعدائهم ولم يكن عجيبا أن يؤيدهم الله بروح من عنده وأن ينصرهم نصراً عزيزاً.

أيها المؤمنون: لقد استطعنا بفضل الله وإيماننا أن نقدم الكثير والكثير فى حرب العاشر من رمضان، فقد خضنا معركة مقدسة سجل أبطالنا المناضلون فيها مواقف

خالدة من البطولة والشجاعة والإيمان، سوف يسجلها التاريخ فى أنصع الصفحات.

إنه على طريق الجهاد، والنضال تمضى مواكب المجاهدين الأبرار الذين يسطرون بدمائهم وتضحياتهم أمجد الصفحات ويكتبون مجد أمتهم وتاريخهم بأروع الملاحم البطولية التى تكشف للعالم أجمع عن أصالة أمتهم التى بلغت فى نضالها على مدى التاريخ أسمى ما تبلغه الأمم فى معارك التضحية والفداء..

إن هؤلاء المجاهدين وأولئك الشهداء الذين قاموا بأعظم دور بطولى على خير وجه فاقتحموا المخاطر فى شجاعة وقوة واجتازوا العقبات فى عزم وإيمان، وزحفوا على الأعداء بين الأسلاك والعراقيل، وقد طبعت نفوسهم على البذل والفداء واشتعلت قلوبهم بنور الحق ونار الانتقام من الأعداء وشعارهم فى ذلك قول الشهيد الأول:

ولست أبالى حين أقتل مسلماً . على أى جنب كان فى الله مصرعى

نعم: إن هؤلاء الشهداء لم تذهب دماؤهم هدراً بل ستظل ذكراهم حية فى القلوب وسيبقى جهادهم مشاعل مضيئة يهتدى بها المجاهدون.

وصدق الله العظيم: **﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾**.

وفى أفغانستان: أذاق المجاهدون المسلمون بقلة سلاحهم وبدائيته وقلة عددهم أعداء الله من الروس المهانة والهوان، وعذبوهم أيما عذاب وتشهد أراضى المعركة وهم ضعاف أمام دولة من أكبر دولتين فى العالم ولم تستطع أن تغلبهم..

إنها الإرادة والعزم..

إنه عمل الإيمان فى القلوب التى يدفع المجاهد ليضرب لله ومن أجله..

اللهم أصلح أحوالنا .. وثبت أقدامنا..

اللهم انصر جيوشنا. وأحسن خلاصنا، واجعلنا مجاهدين لك، خاضعين لأمرك..

اللهم انصرنا على القوم الكافرين، اللهم اجمع شمل المسلمين، ووحد كلمتهم، وصفوفهم، وقهم شر نفوسهم، واكتب لهم النجاح والفلاح والنصر يا أرحم الراحمين.

***

١٤ ـ الدين المعاملة

الحمد لله رب العالمين غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده شريك له إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمداً.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها الأخوة المؤمنون: أحباب الحبيب المصطفى محمد.

«الدين المعاملة»: هكذا جاء فى الخبر.

إن الناس فى شرق آسيا دخلوا الإسلام لكونهم تعاملوا مع المسلمين فرأوا منهم حسن المعاملة، وتعاملوا مع غيرهم فرأوا منهم سوء المعاملة.. فدخلوا دين الله لمعاملتهم الطيبة.

وقد أمر الإسلام المسلمين أن يحسنوا معاملاتهم مع الناس، فالإسلام جاء ليقيم العدل فى كل شىء..

فقد روى أن رسول ﷺ قد دخل سوق المدينة يوماً يتفقد أحوال التجار ويباشر معاملاتهم ويرقب أحوالهم فأعجبه تاجر كان قد وضع الطعام أمام الناس بطريقة تلفت النظر وتثير الانتباه، فذهب إليه رسول الله ﷺ ووضع يده فى داخل الطعام فوجد بداخله بللا.

فقال النبى ﷺ: «**ما هذا ياصاحب الطعام**»؟فقال: قد أصابه ماء السماء فقال: هلا وضعته فوق الطعام حتى يراه كل الناس؟ ثم قال النبى ﷺ قولته المشهورة التى مازال صداها يرن فى سمع الزمان: «**من غشنا فليس منا**».

أيها الإخوة المؤمنون : أحباب الحبيب المصطفى محمد.

إن الإسلام دين الحياة ودستور المجتمع ونظام الفطرة التى فطر الله الناس عليها، ومن أجل ذلك لم يفرض الإسلام نفسه فى المسجد فقط ولم يقصر أمره على العبادة فحسب، ولكنه شمل الدين والدنيا معاً.

فالإسلام فى المسجد يكون عبادة، ويكون فى السوق معاملة وفى البيت أو الطريق يكون أدباً وسلوكاً.

وقد روى عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يسوق من يراه جالساً فى المسجد بغير عمل إلى السوق ليعمل.. كما يسوق إلى المسجد من يراه فى الأسواق هائماً على وجهه ليذكر ربه ويوثق صلته بمولاه ويتعلم عبادة الله.

وهكذا فإن الإسلام الحنيف يستهدف تنظيم علاقة الإنسان بربه عن طريق الطاعة والعبادة، كما يهدف إلى تحسين علاقة الإنسان بالمجتمع الذى يعيش فيه بما وضع من قواعد وقرر من قوانين ونظم ذات الصلة الوثيقة بالسلوك الفردى والاجتماعى والقيم الأخلاقية والأدبية التى تصلح أساساً طيباً للمعاملة كى يعيش الناس أخوة متحابين متفاهمين لا يمسهم نصب ولا تجافى بينهم عداوة.

ومن بين تلك الآداب والقيم أن يعامل المسلم الناس بروح الأمان والصدق.. وأن يتحرى معهم طريق الصراحة والوضوح كى يكسب ثقة الناس واحترامهم وحبهم ورضائهم.

وفى ذلك يقول النبى ﷺ: « **عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً** ».

فالصدق والأمانة أساس المعاملة كما أن الغش والكذب والخداع خيانة وفساد وضرر وضرار وإخلال بالثقة التى يجب أن تشيع فى صفوف الأمة كى يطمئن كل فرد إلى من يعامله ويحسن الظن بجميع الناس.

ومن جهة أخرى فإن العش والخداع فى المعاملة طريق للكسب الخبيث والمال الحرام وقد بين نبى الإسلام صلوات الله وسلامه عليه: «**إن كل جسم نبت من سحت فالنار أولى به**».

وقال: « **لا يكسب عبد مالاً من حرام فينفق منه فيبارك فيه ولا يتصدق به فيقبل منه ولا يتركه حيث ظهره إلا كان زاده إلى النار**».

فاتقوا الله وأطيعوه أيها المسلمون وتوبوا إليه .

وعيش الأحرار الشرفاء، وأما الشهادة فى سبيل الله مع منازل الأبرار الذين وقف رسول الله ﷺ بين الناس خطيباً فقال:

« **أيها الناس: توبوا إلى الله قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة فى السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا**» أ . هـ.

أو كما قال: ادعوا الله.

***

الخطبة الثانية

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله. . وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ

أما بعد:

أيها الأخوة المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد.

لقد كانت المرأة فى الصدر الأول للإسلام تحذر زوجها إذا خرج من البيت إلى السوق قائلة: « إياك والغش وكسب الحرام، فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار».

وقد قال ربنا عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾.

أيها المسلمون :

إن من الغش فى المعاملة الإهمال فى العمل وعدم إتقانه وتطفيف الكيل والميزان وبخس الناس أشياءهم والتدليس على الناس والدس والكيد لهم وافتراء الأباطيل وإلباس الباطل ثوب الحق بالدعاية الكاذبة والخداع المغرض والشائعات الباطلة، واللغو بالباطل وقول الزور.

وإن كلمة واحدة قالها نبى الإسلام محمد ﷺ تجمع لنا كل هذه المعانى :

« **من غشنا فليس منا** ».

أى فليس من ديننا وليس من طريقتنا السليمة الصحيحة التى تهتدى بهدى الله وتسير على صراط الله المستقيم.

أيها الأخوة المؤمنون :

توبوا إلى الله واصطلحوا مع خالقكم.

أحسنوا العبادة يؤتكم من فضله.

مدوا له يد العون.

اللهم تب علينا توبة ترضيك، وأبعدنا عن معاصيك.. وأصلح أحوالنا.

عباد الله :

﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ .

اذكروا الله العظيم يذكركم، وأقم الصلاة.

***

١٥ ـ شهادة الزور

نحمدك اللهم ونشكرك ونخلع ونترك من يفجرك، وأعوذ بك أن نقول زوراً أو أن نغشى فجوراً.

يا رب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين: الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم.

ونشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا وقدوتنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمداً.

صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين..

أما بعد:

أيها الأخوة المؤمنون: أحباب الحبيب المصطفى محمد فى عصرنا الكثيرة ظلماته.. الضيقة طرقه.. الصعبة دهاليزه كثرت «شهادة الزور».

بل إن من الناس من خصص نفسه لها، وجعلها عمله وشغله الشاغل.

فأردت أن نقف عند هذه الجريمة البشعة« شهادة الزور» متأملين فى عقابها، باحثين فيها.

فمن أظهر مميزات هذا الدين العدالة فى أعظم صورها وأسمى مظاهرها، بحيث لا يصرف عنها صارف ولا تؤثر فيها مجاملة أو محاباة ولا تغير من مجراها صلات المودة أو وشائج القربى.

وفى ذلك يقول المولى عز وجل: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وأن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا**﴾.

وفى هذا التوجيه القرآنى دعوة صريحة إلى إقامة العدل والمواظبة عليه فى جميع الأمور، وأداء الشهادة بالحق ابتغاء وجه الله لو كانت الشهادة على أنفسكم أو الوالدين والأقربين لأن الشهادة طريق العدل ووسيلة لإظهار الحق.

وإن يكن المشهود له أو عليه غنياً يرجى خيره أو يخشى ضره أو فقيراً تدعو حالته إلى الضعف والحنان فلا تجوروا ولا تظلموا ميلاً مع الأغنياء أو عطفاً على الفقراء، ولا تشهدوا للغنى مجاملة له أو طلباً لرضاه ولاتمتنعوا من الشهادة خوفاً منه أو اتقاء لشره أو على الفقير رحمة به وشفقة عليه، فالله عز وجل أولى بهما . .

بل الواجب عليكم أن تقولوا الحق وأن تتجنبوا قول الزور فلقد حذرنا الله من الكذب وحرم علينا شهادة الزور، وأمرنا باجتنابها والبعد عنها لأنها معول هدم لصرح العدالة، وفى ذلك يقول الله تعالى: **﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾** .

ويقول فى معرض المدح: **﴿ والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾**.

ويقول نبى الإسلام ﷺ:

« **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر** »؟ قالوا بلى يارسول الله قال:« **الإشراك بالله وعقوق الوالدين** » وكان متكئا فجلس فقال: « **ألا وقول الزور** » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت.

ولا عجب أن تكون شهادة الزور من أكبر الكبائر لما تسببه من الفوضى فى الخصومات وضياع الحقوق وأكل أموال الناس بالباطل، وظلم بعضهم بعضاً ونصرة الظالم وخذلان المظلوم.

وهو بهذا يعرض نفسه لغضب رب العباد، وانتقامه فى نار وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وشاهد الزور كذلك يسىء إلى من شهد له فقد أعانه على الظلم ووافقه على الإثم وأخجله يوم الفزع الأكبر بين يدى جبار لا يرحم من ظلم عباده من أعان ظالماً سلط عليه، كما أنه يسىء إلى من شهد عليه وقطع صلة الأخوة التى عبر عنها النبى ﷺ بقوله: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله**» .

وكذلك يسىء شاهد الزور إلى القاضى فقد أضله عن طريق الهدى وطمس عليه معالم الحق وضيع وقته . . وأخيرا يسىء إلى المجتمع الذى يعيش فيه بتفشى المظالم وضياع الثقة بين الناس.

فتوبوا إلى الله أيها المسلمون لعلكم تفلحون.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى..

وسلام على الذين اصطفى..

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وذريته أجمعين.

أما بعد:

أيها المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد.

لا خير فى مجتمع تحيا فيه المظالم وتموت فيه القيم الإنسانية ولا تسوده العدالة ولا يصل فيه صاحب الحق إلى حقه، ويصير الحق باطلاً، والباطل حقاً ويصبح المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، ثم ما بال شاهد الزور يصير على جريمته النكراء؟ إن كان جمعاً فى مال، فذلك المال سحت وحرام، وقد قال النبى ﷺ: «**كل جسم نبت من سحت فالنار أولى به**».

وإن كان لداعى المجاملة لقريب أو المحاباة لصديق فنسيت تلك المجاملة وباءت تلك الصحبة بالخسران لأنها قامت على حساب الحق والعدل، وسلكت سبيل الظلم والغش وأكل أموال الناس بالباطل، وقد قال النبى ﷺ :

« **من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس سخط الله برضا الناس وكله الله إلى الناس**».

أما إن كان الباعث له على شهادة الزور الخوف من بطش الأقوياء إذا قال كلمة الحق والتزم جانب الصدق فالله عز وجل أحق أن يخشاه﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجاً**﴾.

وقد قال النبى ﷺ: « **واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا أن يضروك لم يضروك إلا بشىء وقد كتبه الله عليك**»أ . هـ.

وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها لمعاذ بن جبل رضى الله عنه: «اتق الله فإنك إن اتقيت الله كفاك وإن اتقيت الناس فلن يغنوا عنك من الله شيئاً».

حقاً إن الصدق ينجي صاحبه وإن تقوى الله تحمي صاحبها، وصدق الله العظيم القائل: **﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾**.

فيا أيها المسلمون عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً».

«وأقيموا الشهادة لله» لالغرض دنيوي، ولايصرفنكم عنها صارف **﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم﴾**.

وقولوا الحق ولو على أنفسكم، ولا تتبعوا الهوى، ولا تميلوا مع الغرض، ولا تجاهلوا على حساب الحق.

اللهم إنا نسألك أن تقوى قلوبنا ونفوسنا لطاعتك، وأن تباعد بيننا وبين معاصيك كما باعدت بين المشرق والمغرب.

***

١٦ ـ الإخبات

الحمد لله رب العالمين . . نحمدك اللهم حمد الشاكرين، ونتوب إليك ونستغفرك، ونثنى عليك الخير كله.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله.

رسول الهدى والمحبة، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر،وكان يقوم الليل حتى تتورم قدماه، فقيل له يارسول الله: ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**»، فصلى الله عليك سيدى وياحبيبى يارسول الله.

أما بعد:

أيها الأخوة المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد هنيئاً لعبد كان مع الله . .

وهنيئاً لعبد شغل نفسه بالله . .

هنيئاً لعبد كان تواباً دائماً.

هنيئاً لمصلٍ أحسن صلاته .

هنيئاً لمزك أخرج زكاته وحاسب نفسه.

وهنيئاً لمسلم أزاح أذىً عن الطريق .

هنيئاً للسعداء الذين فازوا برضوان الله، لإحسانهم إلى أنفسهم ،وإحسانهم إلى الناس.

قال الله تعالى: ﴿ **وبشر المخبتين**﴾[1] ثم كشف عن معناهم، فقال: ﴿ **الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة، ومما رزقناهم ينفقون**﴾[2].

وقال: ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب**

---

(١) سورة الحج: ٣٤.

(٢) سورة الحج: ٣٥.

الجنة هم فيها خالدون﴾[1].

و« الخبت» فى أصل اللغة المكان المنخفض من الأرض، وبه فسر ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة لفظ« المخبتين» وقالا: هم المتواضعون.

وقال مجاهد: المخبت المطمئن إلى الله عز وجل ـ قال: والخبت المكان المطمئن من الأرض، وقال الأخفش: الخاشعون.

وقال إبراهيم النخعي: المصلون المخلصون، وقال الكلبى هم الرقيقة قلوبهم، وقال عمرو بن أوس: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا.

وهذه الأقوال تدور على معنيين: التواضع، والسكون إلى الله عز وجل، ولذلك عدى بالى، تضمينا لمعنى الطمأنينة، والإنابة والسكون إلى الله وهو أول مقامات الطمأنينة: كالسكينة، واليقين، والثقة بالله ونحوها فالإخبات مقدمتها وصدؤها، قال: هو ورود المأمن من الرجوع والتردد، إلى ما سوى أحكامها، وصاحب هذه الهمة سريع وصوله وظفره بمطلوبه، ما لم تعقه العوائق وتقطعه العلائق.

والإخبات: أيها المسلمون على ثلاث درجات.

الأولى: همة تصون القلب عن وحشة الرغبة فى الفانى وتحمله على الرغبة فى الباقى، وتصفيه من كدر التوانى.

والفانى: الدنيا وما عليها، أى يزهد القلب فيها وفى أهلها وسمى الرغبة فيها« وحشة» لأنها وأهلها توحش قلوب الراغبين فيها، وقلوب الزاهدين فيها.

أما الراغبون فيها: فأرواحهم وقلوبهم فى وحشة من أجسامهم، إذ فاتها ماخلقت له. فهى فى وحشة لفواته.

وأما الزاهدون فيها: فإنهم يرونها موحشة لهم؛ لأنها تحول بينهم وبين مطلوبهم ومحبوبهم ولا شىء أوحش عند القلب مما يحول بينه وبين مطلوبه ومحبوبه، ولذلك فإن من نازع الناس أموالهم، وجلبها منهم: أوحش شىء إليهم وأبغضه.

وأيضا: فالزاهدون فيها: إنما ينظرون إليها بالبصائر، والراغبون: ينظرون إليها بالأبصار، فيستوحش الزاهد لما يأنس به الراغب. كما قيل: وإذا أفاق القلب واندمل الهوى رأت القلوب ولم تر الأبصار.

---

(١) سورة هود: ٢٣.

وكذلك هذه الهمة تحمله على الرغبة فى الباقى لذاته، وهو الحق سبحانه والباقى بإبقائه هو الدار الآخرة.

«وتصفيه من كدر التوانى أى تخلصه وتمحصه من أوساخ الفتور والتوانى، الذى هو سبب الإضاعة والتفريط.

أما الدرجة الثانية: فهى همة تورث، أنفه من المبالاة بالعلل، والنزول على العمل والثقة بالأمل.

«العلل» ههنا: هى علل الأعمال من رؤيتها، أو رؤية ثمراتها وإرادتها، ونحو ذلك، فإنها عندهم علل.

فصاحب هذه الهمة: يأنف على همته، وقلبه من أن يبالى بالعلل، فإن همته فوق ذلك، فمبالاته بها، وفكرته فيها: نزول من الهمة.

وعدم هذه المبالاة: إما لأن العلل لم تحصل له؛ لأن علو همته حال بينه وبينها، فلا يبالى فيما لم يخصل له، وإما لأن همته وسعت مطلوبه، وعلوه، وعلوه يأتى مع تلك العلل، ويستأصلها، فإنه إذا علق همته بما هو أعلى منها تضمنتها الهمة العالية، فاندرج حكمها فى حكم الهمة العالية.

وأما أنفته من النزول على العمل: فكلام يحتاج إلى تقييد وتبيين، وهو أن العالى الهمة مطلبه فوق مطلب العمال والعباد، وأعلى منه، فهو يأنف أن ينزل من سماء مطلبه العالى، إلى مجرد العمل والعبادة، دون السفر بالقلب إلى الله ليحصل له ويفوز به، فإنه طالب لربه تعالى طلباً تاماً بكل معنى واعتبار فى عمله، وعبادته ومناجاته، ونومه ويقظته، وحركته وسكونه، وعزلته وخلطته، وسائر أحواله، فقد انصبغ قلبه بالتوجه إلى الله تعالى أيما صبغة.

وهذا الأمر إنما يكون لأهل المحبة الصادقة. فهم لا يقنعون بمجرد رسوم الأعمال، ولا بالاقتصار على الطلب حال العمل فقط.

وهذه العزائم لا تصح إلا لمن أشرق قلبه أنوار آثار الأسماء والصفات، وتجلت عليه معانيه، وكافح قلبه حقيقة اليقين بها.

وقد قيل: من أخد العلم من عين العلم ثبت، ومن أخذه من جريانه أخذته أمواج الشبه، ومالت به العبارات، واختلفت عليه الأقوال.

فتوبوا إلى الله أيها المسلمون..

الخطبة الثانية

الحمد لله.. والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ..

وأشهد أن لا إله إلا الله..

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين..

أما بعد..

أيها الأخوة المؤمنون: أحباب الحبيب المصطفى محمد.

وقد وصلنا إلى الدرجة الثالثة وهى: أن يستوى عنده المدح والذم، وتدوم لائمته لنفسه، ويعمى عن نقصان الخلق عن درجته.

فاعلم أنه متى استقرت قدم العبد فى منزلة «الإخبات» وتمكن فيها؛ ارتفعت همته، وعلت نفسه عن خطفات المدح والذم، فلا يفرح بمدح الناس، ولا يحزن لذمهم، هذا وصف من خرج عن حظ نفسه، وتأهل للفناء فى عبودية ربه، وصار قلبه مطرحاً لأشعة أنوار الأسماء والصفات، وباشر حلاوة الإيمان واليقين قلبه.

والوقوف عند مدح الناس وذمهم: علامة انقطاع القلب، وخلوه من الله، وأنه لم تباشره روح محبته ومعرفته، ولم يذق حلاوة التعلق به والطمأنينة إليه.

وأما «وأن تدوم لائمته لنفسه» فهو أن صاحب هذا المنزل لا يرضى عن نفسه، وهو مبغض لها مثمن لمفارقتها.

والمراد بالنفس، عند القوم: ما كان معلولاً من أوصاف العبد، مذموما من أخلاقه، وأفعاله، سواء كان ذلك كسبيا أو خلقيا، فهو شديد اللائمة لها وهذا أحد التأويلين فى قوله تعالى: ﴿ **ولا أقسم بالنفس اللوامة**﴾[1].

قال سعيد بن جبير وعكرمة: تلوم على الخير والشر، ولا تصبر على السراء، ولا على الضراء وقال قتادة: اللوامة : هى الفاجرة.

وقال مجاهد تندم على ما فات، وتقول: لو فعلت؟ ولو لم أفعل؟

وقال الفراء: ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهى تلوم نفسها: إن كانت عملت خيراً قالت: هلا زدت؟ وإن عملت شراً قالت: ليتنى لم أفعل.

---

(١) سورة القيامة: ٢.

وقال الحسن : هى النفس المؤمنة - إن المؤمن - والله - ما تراه إلا أن يلوم نفسه : ما أردت بكلمة كذا، وما أردت بأكلة كذا؟ ما أردت بكذا؟

وما أردت بكذا؟ وإن الفاجر يمضى قدماً قدماً، ولا يحاسب نفسه ولا يعاتبها.

وقال مقاتل: هى النفس الكافرة، تلوم نفسها فى الآخرة على ما فرطت فى أمر الله فى الدنيا.

والقصد : أن من بذل نفسه لله بصدق كره بقاءه معها؛ لأنه يريد أن يتقبلها من بذلت له، ولأنه قد قربها له قرباناً، ومن قرب قربانا فتقبل منه، ليس كمن رد عليه قربانه، فبقاء نفسه معه دليل على أنه لم يتقبل قربانه.

وأيضا فإنه من قواعد القوم المجمع عليها بينهم، التى اتفقت كلمة أولهم وآخرهم، ومحققهم ومبطلهم عليها: إن النفس حجاب بين العبد وبين الله، وإنه لا يصل إلى الله حتى يقطع هذا الحجاب.

فالنفس جبل عظيم شاق فى طريق السير إلى الله عز وجل، وكل سائر لا طريق له إلا على ذلك الجبل، فلابد أن ينتهى إليه، ولكن منهم من هو شاق عليه ومنهم من هو سهل عليه، وإنه ليسير على من يسره الله عليه.

فاللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا فى أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

اللهم أصلح لنا نفوسنا، وألهمنا الصبر والرشد والفلاح...

اللهم ثبت قلوبنا على دينك، واجعل آخر كلامنا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ.

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾.

اذكروا الله يذكركم، وأقم الصلاة.

***

١٧ ـ الزكاة فى الإسلام

الحمد لله رب العالمين، هو الغنى عن العالمين، سبحانه لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له زكى نفوسنا بالبذل والإيثار، وطهر قلوبنا من الشح وكنز المال: **﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾**.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأستاذنا ومعلمنا ومرشدنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، نبى الهدى ورسول الرحمة وناصح الأمة، والداعى إلى سواء السبيل.

فاللهم صل وسلم وبارك على أستاذ الوجود، وجلاء النفوس، وذهاب الهموم، ونور الأبصار، وغذاء الأرواح .. محمداً..

أما بعد..

أيها الأخوة المؤمنون: أحباب الحبيب المصطفى محمد.

فللزكاة مركزها فى الإسلام.

الركن الثالث من أركانه. بغيرها لا يتم إسلام المرء..

وهى زكاة بما تحمله من اسم طيب تزكى النفوس والأبدان.

أى تطيبها وترفع من شأنها.. وتطهرها وتداويها.

قال الله تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾**.

وقال النبى ﷺ: « **من أتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع يأخذ بشدقيه ثم يقول له: أنا مالك أنا كنزك** » ثم تلا النبى ﷺ: **﴿ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة﴾**.

عباد الله: الزكاة أول ضريبة نظامية فى تاريخ الاقتصاد فى العالم، نظم الإسلام جبايتها وفرضها على الأغنياء فى جميع الأموال والزروع والثمار والتجارة فى كل عام كما بيّن مصارفها فى قوله تعالى:

﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾.

والفقراء: هم من لا يملكون شيئاً.

وهم بل هم المساكين.

وقيل: الفقراء هم من يملكون القليل ولكنه لايكفيهم، والمساكين: من لايملكون شيئاً.

والمسألة خلافية.

والزكاة لا يعتبرها الإسلام إحساناً وتفضلاً من الأغنياء وإنما يعتبرها حقاً عليهم فى أموالهم لحساب الفقراء.

والإنسان إذا تقاضى حقه تقاضاه وهو موفور العزة والكرامة دون أن ينقص من قدره شيء، قال الله تعالى:

﴿وفى أموالهم حق للسائل والمحروم﴾.

وإذا كانت الدولة فى ظل الإسلام هى التى تجمع الزكاة وتوزعها على المحتاجين العاجزين عن العمل أو الذين لا تفى مواردهم لضرورات الحياة فهل فى هذا تفضل وإحسان؟ أو فيه ما ينقص من كرامة المحتاجين؟؟

وهل يحس الموظفون الذين تمنحهم الدولة معاشا أو العمال الذين تصرف لهم تأمينا أنهم عالة على المجتمع أو أنهم يعيشون على حساب الغير؟

ثم إذا أنفقت الدولة من مالها باسم الإنسانية على الأطفال اليتامى والمرضى العاجزين فهل فى ذلك ما يخدش كرامتهم أو يزرى بإنسانيتهم وآدميتهم؟؟

ثم إذا كانت حياة الناس فى صدر الإسلام قد اقتضت وتقبلت أن يأخذ الفقراء الزكاة نقدا أو عينا فى أيديهم فليس معنى هذا أن هذه هى الطريقة الوحيدة لتوزيع الزكاة.. وليس هناك ما يمنع من إعطائها للمستحقين فى صورة مدارس مجانية يعلمون فيها أولادهم ومستشفيات يعالجون فيها وجمعيات تعاونية تسهل لهم وسائل العيش ومصانع ومؤسسات يرتزقون منها رزقا دائما وقد أشار نبى الإسلام صلوات ربى وسلامه عليه إلى ذلك حين جاءه سائل يشكو الفقر فأعطاه الرسول ﷺ دينارين وقال له كل بأحدهما واشتر بالآخر فأساً واعمل..

صدق رسول الله ﷺ..

الخطبة الثانية

الحمد لله .. وكفى ..

وسلام على الذين اصطفى ..

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له ..

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله .. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه أجمعين ...

أما بعد..

وهكذا تعطى الزكاة نقداً للعاجزين بسبب المرض أو الشيخوخة أو الطفولة ويأخذها غيرهم فى صورة عمل أو خدمات.

هذه هى الزكاة كما أرادها الإسلام لا كما فهمها بعض الناس على أنها إحسان وصدقة وتفضل من فريق على آخر كما فهمها البعض الآخر على أنها قد تعين على إيجاد طائفة من المتسولين أو مستحقى الزكاة!!

لا : فالإسلام كما هو معلوم دين عزة وكرامة، وهو يأبى لأهله أن يذلوا أو يقبعوا بالراحة والكسل، كيف وهو القائل بلسان النبى ﷺ:

« ولا يزال الرجل يسأل ويسأل حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه مزعة لحم».

وهو القائل ﷺ:

« أشد الناس عذابا يوم القيامة المكفى الفارغ».

والمكفى: هو الذى يكفيه غيره حاجته، والفارغ هو العاطل القادر على العمل ثم لا يعمل.

فالإسلام إذن خير من يشجع على العمل والسعى، ومن يحافظ على الكرامة وماء الوجه ثم إن الغنى فى الإسلام يؤدى زكاة ماله عن إيمان واقتناع وعن إحساس عميق بأن الفقير أحق منه بهذا الذى زاد عن حاجته .. وعن شعور قوى بأن الله تعالى الذى أمره بذلك سيعوضه ويزيده تحقيقاً لوعده الكريم:

﴿ وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ .

وقوله: ﴿**لئن شكرتم لأزيدنكم**﴾ إن لم يكن ذلك فى الدنيا ففى الآخرة فى جنات النعيم التى أعدها الله لعباده المحسنين.

أيها المسلمون: هذه هى الزكاة فى الإسلام التى تنطوى على كل معانى الرحمة ودوافع الخير ونوازع الإنسانية.. كما تنتمى على العنصر الأخلاقى والإيمان بالله والوثوق بما عند الله والشعور الإنسانى الذى يجمع بين الحب والرحمة والتعاون، كما لم تقم على الصراع والأحقاد ولم يوحها الطمع وحب الانتقام وإنما قامت على أساس أن المؤمنين جميعا إخوة وهم فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

فاللهم ارزقنا الإخلاص فى القول والعمل..

وارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم..

وارزقنا الزيادة من كل خير.

وارزقنا الصبر والحلم والطاعة..

وارزقنا التوبة والمغفرة.

وارزقنا الإحسان ولذة الإيمان..

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

عباد الله: إن الله جمع الفضائل كلها فى نصف آية من كتاب الله فقال: ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى**﴾.

ونهى عن الرذائل كلها فى النصف الآخر من نفس هذه الآية.. فقال: ﴿**وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون**﴾.

اذكروا الله العظيم يذكركم، وأقم الصلاة.

***

١٨ ـ الورع

الحمد لله : وكفى.

وسلام على الذين اصطفى.

ونشهد أن لا إله إلا الله: وحده لا شريك له فى سلطانه، ولا مناوئ له فى علو شأنه..

الخالق القادر الرافع المعز المذل الحكم العدل اللطيف الخبير.

ونشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا محمداً رسول الله.

خير من صلى وصام وزكى وحج..

فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وذريته أجمعين..

أما بعد:

أيها الأخوة المسلمون أحباب الحبيب المصطفى محمد..

هذا رجل ورع، أحب أن تكون مسلما ورعا، كلمة تتردد على آذاننا، ولا يعرف كثير منا معناها، وما تحمله من صفات ومعانى وسمات.. أردت اليوم أن أقف بينكم فى هذا المؤتمر الأسبوعى مبيناً لها موضحاً لمعناها.

الورع: عباد الله: أن تتوقى مستقصى على حذر، وتحرج على تعظيم .

يعنى أن تتوقى الحرم والشبه. وما يخاف أن يضره ما يمكنه من التوقى لأن التوقى والحذر متقاربان، إلا أن التوقى فعل الجوارح، والحذر فعل القلب، فقد يتوقى العبد الشىء لا على وجه الحذر والخوف، ولكن لأمور أخرى، من إظهار نزاهة. وعزة وتصوف، أو اعتراض آخر، كتوقى الذين لا يؤمنون بميعاد، ولا جنة ولا نار ما يتوقونه من الفواحش والدناءة، تصوناً عنها، ورغبة بنفوسهم عن مواقعتها، وطلبا للمحمدة، ونحو ذلك.

أما معنى«أو تحرج على تعظيم»يعنى أن الباعث على الورع عن المحارم والشبه إما حذر حلول الوعيد، وإما تعظيم الرب جل جلاله، وإجلالاً له أن يتعرض لما نهى عنه.

فالورع عن المعصية: إما تخوف، أو تعظيم، واكتفى المعرف بذكر التعظيم عن ذكر الحب الباعث على ترك معصية المحبوب؛ لأنه لا يكون إلا مع تعظيم، وإلا فلو خلا القلب من تعظيم لم تستلزم محبته ترك مخالفته، كمحبة الإنسان ولده، فإذا قارنه التعظيم أوجب ترك المخالفة.

والورع: آخر مقام الزهد للعامة، وأول مقام الزهد للمريد.

يعنى أن هذا التوقى والتحرج، بوصف الحذر والتعظيم هو نهاية لزهد العامة، وبداية لزهد المريد، وإنما كان كذلك؛ لأن الورع هو أول الزهد وركنه. وزهد المريد: فوق زهد العامة.

ونهاية العامة: هى بداية المريد، فنهاية مقام هذا هى بداية مقام هذا، فإذا انتهى ورع العامة صار زهداً، وهو أول ورع المريد.

أيها الأخوة المؤمنون: أحباب الحبيب المصطفى محمد.

تأملوا أقوال العلماء فى الورع:

قال الشبلى: الورع أن يتورع عن كل ما سوى الله.

وقال إسحاق بن خلف: الورع فى المنطق أشد منه فى الذهب والفضة والزهد فى الرياسة: أشد منه فى الذهب والفضة؛ لأنهما يبذلان فى طلب الرياسة.

وقال أبو سليمان الدارانى: الورع أول الزهد، كما أن القناعة أول الرضا.

وقال يحيى بن معاذ: الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل، وقال: الورع على وجهين. ورع فى الظاهر، وورع فى الباطن، فورع الظاهر: أن لا يتحرك إلا لله، وورع الباطن. هو أنه لا تدخل قلبك سواه، وقال: من لم ينظر فى الدقيق من الورع لم يصل إلى الجليل من العطاء.

وقيل: الورع الخروج من الشهوات، وترك السيئات.

وقيل: من دمه فى الدنيا - أو نظره - جل فى القيامة خطره.

وقال يونس بن عبيد: الورع الخروج من كل شبهة، ومحاسبة النفس فى كل طرفة عين.

وقال سفيان الثورى: ما رأيت أسهل من الورع، ما حاك فى نفسك اتركه.

وقال سهل: الحلال هو الذى لا يعصى الله فيه، والصافى منه الذى لا ينسى الله فيه، وسأل الحسن غلاما، فقال له: ما ملاك الدين؟ قال: الورع، قال: فما آفته؟ قال: الطمع، فعجب الحسن منه.

وقال الحسن: مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة.

وقال أبو هريرة: جلساء الله غداً أهل الورع والزهد.

وقال بعض السلف: لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس.

وقال بعض الصحابة: كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع فى باب من الحرام.

وترك الفضول من المباح يصفى القلب، فإن كثيراً من المباح يكدر صفو الصيانة، ويذهب بهجتها، ويطفى نورها، ويخلق حسنها وبهجتها.

فالعارف يترك كثيراً من المباح إبقاء على صيانته، ولا سيما إذا كان ذلك المباح برزخاً بين الحلال والحرام. فإن بينهما برزخاً، فتركه لصاحب هذا الحال كالمبقين الذى لابد منه لمنافاته لحاله.

فاتقوا الله عباد الله ما استطعتم واستغفروه يغفر لكم.

***

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى...

وسلام على الذين اصطفى..

وأشهد أن لا إله إلا الله: الملك الحق المبين..

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمداً رسول الله الصادق الوعد الأمين.. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها الأخوة المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد..

فالحدود: هى النهايات، وهى مقاطع الحلال والحرام، فحيث ينقطع وينتهى،

فذلك حده، فمن اقتحمه وقع فى المعصية.

وقد نهى الله تعالى عن تعدى حدوده وقرباته، فقال: **﴿ تلك حدود الله فلا تقربوها﴾**.

وقال: **﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾** فإن الحدود يراد بها أواخر الحلال، وحيث نهى عن القربان فالحدود هناك: أوائل الحرام.

يقول سبحانه:ـ «لا تتعدوا ما أبحت لكم، ولا تقربوا ما حرمت عليكم» - فالورع يخلص العبد من قربان هذه وتعدى هذه، وهو اقتحام الحدود..

أيها المسلم: المخلص يصونه الله بعبادته وحده، وإرادة وجهه، وخشيته وحده، ورجائه وحده، والطلب منه، والذل له والافتقار إليه وحده.

فكن مع الله : اشغل نفسك به تجده معك فى كل وقت آن ..

أيها المسلم: من فقد الله فقد كل شىء، ومن وجد الله فقد وجد كل شىء.

إلهى: ماذا فقد من وجدك، وماذا وجد من فقدك.

نسألك صلاح قلوبنا، وحياة نفوسنا، والسلامة من كل إثم..

اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر..

إلهى: هذا حالنا لا يخفى عليك، وهذا ذلنا ظاهر بين يديك، فعاملنا بالإحسان إذ الفضل منك وإليك، واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

عباد الله:

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾.

اذكروا الله العظيم يذكركم، وأقم الصلاة ...

***



ثانيا

خطب المناسبات

١ـ فتح مكة.

٢ـ فضل شعبان

٣ـ الميلاد.

٤ـ إلى الجهاد.

١ ـ فتح مكة

إن الحمد لله . . نحمده ونستعينه، ونسترضيه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا . .

الحمد لله ولى المتقين، وناصر المؤمنين . .

ربى لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك . .

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له هو القائل: **﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً. ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً. وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾**[1].

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا محمداً رسول الله أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً . .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه، أولئك هم المفلحون . .

يارب صل على الحبيب محمد   واجعله شافعنا بفضلك فـى غدِ

فلقد عرفتك نعماً متفضـــلاً   ولذا دعوتك فاستجب لى سيدى

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار . . وما قل وكفى خير من كثر وألهى، وإن ما توعدون لآت، وما أنتم معجزين . .

ثم أما بعد :

عباد الله . . .هكذا ينتصر الحق ولو بعد أزمان بعيدة، فلابد لفجر الحق أن يسطع، ولابد ليد الباطل أن تقطع . . فتلك السنة فى الكون . .

لكن الأمر يحتاج إلى صبر طويل مع الاستعانة بمن بيده الأمر، والاحتساب

---

(١) سورة الفتح: ١-٣ .

إليه جل شأنه . .

ولعلكم تعلمون قصة نبيكم المصطفى وكيف فعل به أهل الجاهلية الأفاعيل، وكيف تفننوا فى إيذائه فاضطر إلى الهجرة من أحب البقاع إلى نفسه إلى أرض أخرى، وأقام فيه وصابر واحتسب، حتى قويت شوكته، وعاد بعد سنين ليدخل أرضه التى تركها . . قائماً غانماً . .

والله إنها لآية للمبتلين، آية للمجاهدين، يجب أن يضعونها نصب أعينهم . .

مع هذا الفتح الكبير يكون لقائى بكم اليوم فى مؤتمر المسلمين الأسبوعى العظيم . . والذى أبدأه بقول الحق رب العالمين . .

﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾.

أيها الموحدون: أحباب محمد . . صلى الله عليه وآله وسلم:

لابد للحق أن ينتصر فى النهاية، وإن غلب على أمره فى البداية، ولنا فى هذا الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - أسوة حسنة، وقدوة طيبة . . فقد بعثه الله فى مكة أم القرى بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراط العزيز الحكيم، وكانت جزيرة العرب يومئذ تموج بالفتن والفوضى، يبطش القوى بالضعف، ويستبد الغنى بالفقير، وتعصف العصبية العمياء بالقيم الإنسانية، فتمر من الروابط، وتقطع الصلات، وكان الجمود الفكرى يعطل العقل من النظر فى حقائق الأمور، وأدى التقليد الأعمى للآباء والأجداد أن يعبدوا الأصنام وأن يئدوا البنات مخافة الفاقة والعار، وأن يقتلوا أولادهم خشية إملاق، وكان الفرس والروم يتحكمون فى مصائر العرب، يبتزون أموالهم، ويستنزفون دماءهم، ويضربون بعضهم ببعض، فدعا المصطفى ﷺ يأمر ربه إلى عبادة الله وحده، وإلى تحرير العقول من قيود التقليد، وإلى المساواة وتوحيد الكلمة . . والاعتصام بمكارم الأخلاق، ليعود الناس إلى دين الله حنيفاً . .

﴿فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[1].

---

(١) سورة الروم: ٣٠.

وكان جديراً بهم وهو يدعوهم إلى عز الدنيا وسعادة الآخرة، وقد عرفوا فيه الصدق والأمانة أن يتبعوه، ولكن كبر على المشركين ما تدعوهم إليه.

﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشىء عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشىء يراد ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾[٢].

ولم يزده إصرارهم على الباطل إلا ثباتاً على الحق، فأخذوا يكيدون له ولأصحابه، ويتربصون بهم الدوائر، ويعقدون لهم فى كل مرصد، ولم يتركوا وسيلة من وسائل التعذيب إلا اتخذوها ولا طريقة من طرق البغى والعدوان إلا اتبعوها، ثم لجأوا إلى إغراء المصطفى ﷺ بالمال والسلطان والجاه، فأبى كل الإباء، فعادوا إلى الاضطهاد والإيذاء، وتآمروا على قتله، فأمره الله بالهجرة وكان الصدام المسلح فى غزوة بدر الكبرى، أول نصر ساحق أعز الله به الإسلام، وثبت به دعائم الإيمان، ثم تتابعت الغزوات، وكان الحرب سجالاً، حتى كانت السنة الثامنة من الهجرة خرج صلى الله عليه وآله وسلم فى عشرة آلاف مقاتل من المدينة إلى مكة، وما هى إلا ساعات من اليوم الحادى والعشرين من رمضان حتى فتح الله له فتحاً مبيناً، ونصره نصراً عزيزاً، وأسلمت له مكة مقاليدها.

أيها المؤمنون: لا شك فى أن الاحتفال بالذكريات الإسلامية نوع من التفكير فى أحداث التاريخ لا يؤتى ثمرته إلا إذا ترتب عليه نتائجه وآثاره..

والأمم الحية الناهضة هى التى تجعل من الأحداث التاريخية ذكريات تربط بها ماضيها بحاضرها، ومستقبلها، وتحيلها إلى سلوك عملى يقودها إلى مواطن العزة والكرامة والشرف والخلود..

إن فتح مكة لم يحدث فى السنة الأولى من الهجرة، بل بعد سنوات طويلة ما زالت صورها حية، وما زالت وستظل دائماً - إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - مظهراً صحيحاً للإيمان بالله، والزود فى سبيله وبذل المهج والأرواح دونه.

فإن المهاجرين، الأولون - كما ذكرنا - قد تعرضوا للأذى والمحن والابتلاء فى أنفسهم وأهليهم وأموالهم فصبروا وصابروا وتحملوا الضيم والمكاره ومزجوا مرارة

---

(١) سورة ص : ٤-٧ ..

العذاب بحلاوة الإيمان فكان من هذا المزيج قوة رفعتهم إلى مرتبة السادة الحاكمين، بعد أن كانوا أذلة مستضعفين..

وصدق الله: **﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الأرض﴾**.

إن صبر هؤلاء المؤمنين وقوة احتمالهم على رسوخ الإيمان فى نفوسهم وثباته فى قلوبهم وسيطرته على مشاعرهم، فلم يعودوا يشعرون إلا به، ولا يحيون إلا له، ولا يجاهدون إلا من أجله ولا يتحملون إلا فى سبيله.

نعم إن الإيمان بالله الذى حررهم من العبودية والوثنية، وطهر عقولهم من الخرافات والبهتان، وملأ نفوسهم بالخير والهدى والرشاد.

وقد خبر عن ذلك الإيمان أحد هؤلاء المهاجرين فى الهجرة الأولى إلى بلاد الحبشة وهو جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه حين خاطب النجاشى قائلاً:.

أيها الملك: كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار، يأكل القوى الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وأمانته وعفافه فدعا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان.

وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ماجاء به من الله فعبدنا الله وحده لانشرك به سواه،وحرمنا ماحرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا» أ.هـ.

نعم.. إنه عمل الإيمان فى القلوب الذى حول هذه القلوب الحجرية إلى قلوب تطمئن بذكر الله، وتخضع لعظمته جل فى علاه...

ومن هنا جاء الفتح المبين بعد جهاد وصبر وعمل والتزام.. فأنيبوا إلى ربكم وأسلموا لله... وادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

***

الخطبة الثانية

إن الحمد لله رب العالمين. .

ونشهد أن لا إله إلا الله، الملك الحق المبين.

ونشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الصادق الوعد الأمين. .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبى التقى البهى الوفى الأمين. . وعلى آله وصحبه بإحسان إلى يوم الدين. .

أما بعد :

أيها المؤمنون: أحباب الحبيب المصطفى محمد. .

عاد النبى ﷺ بعد هذه السنوات فاتحاً مكة، فدخل البيت الحرام فائزاً منتصراً، ليطهره من الأصنام، وجعل يحطمها ويطعنها بعود فى يده ويقول: «**جاء الحق وزهق الباطل**» وينطلق صوت بلال بالأذان من فوق الكعبة، ويجتمع الناس فى الكعبة، فإذا من كان بالأمس مضطهداً طريداً شريداً، يملك الزمام، وينشر السلام، ويؤثر العفو والصفح على الثأر والانتقام، فيقول: «**يا أهل مكة ما تظنون أنى فاعل بكم**»؟ فيقولون: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، فيقول: « **اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

ألا ما أجمل العفو عند المقدرة، وما أسمى الصفح عمن أساء. .

أيها المؤمنون..

لقد استطاع المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم - بفتح مكة أن يعيد للبيت الحرام أمنه، وأن ييسر للناس حجه، وأن يطهره للطائفين والعاكفين والركع السجود، واستطاع أن يؤمن ظهره فانطلقت كتائب الإيمان والحق تطهر الجزيرة العربية من الشرك والإلحاد، وتحرر أطرافها من سيطرة الروم. .

أيها المؤمنون :

لقد قال النبى ﷺ فيما ترويه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها - «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا**» .

اللهم إنا نسألك ربنا ـ رب العالمين ـ أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وذهاب همومنا وغمومنا، اللهم ذكرنا منه ما نسينا، وعلمنا منه ما جهلنا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تجعل إلى النار مصيرنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يخشاك ولا يرحمنا. .

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وألهمنا اجتنابه، ولا تجعله متشابهاً علينا فنضل، واجعلنا للمتقين إماماً. .

عباد الله:

إن الله قد جمع الفضائل كلها فى نصف آية من كتاب الله فقال: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان واتياء ذى القربى**﴾ ونهى عن الرذائل كلها فى النصف الآخر من نفس هذه الآية فقال: ﴿**وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون**﴾.

***

٢ـ فضل شعبان

الحمد لله الذى يجيب المضطر إذا دعاه . .

سبحانه بيده الفضل يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم ﴿**يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم**﴾(١) .

أحمدك ربى حمد الشاكرين، وأتوب إليك وأستغفرك، وأثنى عليك الخير كله . .

وأشهد أن لا إله إلا الله : وحده لا شريك له : سميع الدعاء . .

سبحانك . . لا علم لنا إلا ما علمتنا . .

سبحانك . . أنت الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت بكل شىء عليم . .

سبحانك . . أنت الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله . . خير من صلى وصام وعبد الله حتى أتاه اليقين . .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد فى الأولين . .

وصل وسلم وبارك عليه فى الآخرين . .

وصل وسلم وبارك عليه فى الملأ الأعلى إلى يوم الدين . .

أما بعد..

فإن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل وخير الهدى هدى محمد ﷺ .

وشر الأمور محدثاتها . .وكل محدثة بدعة . .

وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار . .

أيها المؤمنون:

لشهر شعبان ذكريات عظيمة فى الإسلام، تستحق العناية والاهتمام، ولذلك

(١) سورة آل عمران : ٧٤ .

كان المصطفى ﷺ يختصه بكثير من الصيام.

- فعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال: قلت: يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان، قال: «**ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم**» أ هـ.

- وهذا سر من أسرار اهتمام المصطفى ﷺ بالإكثار من الصيام فى شهر شعبان ليلفت النظر إلى العناية بطاعة الله فيه، والتقرب إليه بالعمل الصالح، والصوم من أجل العبادات لأنه سر بين العبد وربه..

- فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله عز وجل: الصيام لى وأنا أجزى به**».

ومما يستدعى العناية بالصيام فى شعبان أنه يقع بين شهر حرام هو رجب - والصوم مندوب فى الأشهر الحرم - وبين شهر معظم هو شهر رمضان، الذى فرض الله صيامه تخليداً لذكرى نزول القرآن الكريم.

- وفى شهر شعبان حولت القبلة فى عهد الرسول ﷺ من بيت المقدس إلى الكعبة بعد أن ظل المسلمون يستقبلون بيت المقدس شهوراً منذ هاجر المصطفى ﷺ من مكة إلى المدينة، وقد كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يتطلع إلى تحويل القبلة شطر المسجد الحرام وهو أول بيت وضع للناس، وفى جواره كان مولده ونشأته وبعثته، وقد كان هذا التحويل مدعاة لتساؤل بعض الناس، وقد أجاب الله على تساؤلهم بما يفيد أن المؤمن الصادق لا يهمه جهة العبادة، وإنما يهمه المقصود بها..

وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿**ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم**﴾[1].

ويقول سبحانه:

﴿**سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله**

(١) سورة البقرة: ١١٥.

المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله، وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم. قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون﴾[1].

ـ وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: «بينما الناس فى صلاة الصبح بقباء إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد نزل عليه الليلة، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة..

ـ وعن البراء رضى الله عنه قال: «لما قدم النبى ﷺ المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يحب أن يوجه إلى الكعبة فأنزل الله تعالى: **﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾** فوجه نحو الكعبة، فصلى رجل معه العصر؛ ثم مر على قوم من الأنصار وهم ركوع فى صلاة العصر نحو بيت المقدس، فقال وهو يشهد أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه قد وجه إلى الكعبة، فانحرفوا وهم ركوع» أ هـ[2].

أيها المؤمنون:

لقد كان تحويل القبلة إلى الكعبة إيذاناً بوحدة العرب وفتح مكة تحت راية التوحيد، الذى دعا إليه الإسلام، وكان ذلك باكورة الوحدة الشاملة بين المسلمين، وقد كان بعض العرب يطعنون على المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أنه ترك استقبال المسجد الحرام، مسجد آبائه، وهو البيت الذى بناه أبو الأنبياء بمساعدة ابنه إسماعيل عليهما السلام، كما قال تعالى: **﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾** [3].

---

(١) سورة البقرة: ١٤٢ ـ ١٤٤.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

(٣) سورة البقرة: ١٢٧.

وبتحويل القبلة إلى المسجد الحرام بطلت حجة هؤلاء الطاعنين، وإن كان قد ظل بعض المعاندين على طعنهم، ظلماً بغير حق، وسفهاً بغير علم، وفى ذلك يقول الله تعالى: **﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره، لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون﴾**[1].

ويذكر المؤرخون أن تحويل القبلة كان فى شهر شعبان.

أيها المؤمنون..

وفى شهر شعبان ليلة مباركة هى ليلة النصف منه..

فإن لله تبارك وتعالى مواسم للخير والبر يتعرض لها الموفقون من عباد الله الذين يضاعفون أعمالهم ويتقربون إلى مولاهم ويرفعون إليه أكف الضراعة ويدعون ربهم فى تذلل وخشوع، وفى مناجاة وخضوع، يرجون رحمة الله، ويخشون عذابه، فيتجلى عليهم ربهم بالقبول ويفتح أمامهم أبواب السماء ويفسح أمامهم أبواب الأمل والرجاء، ويدخلهم فى رحمته ويشملهم بعطفه ورضوانه..

ومن هذه المواسم العظيمة التى يعظم فيها الأمل فى رحمة الله ورضوانه شهر شعبان وخاصة هذه الليلة..

فقد روى عن عائشة رضى الله عنها قالت: قام رسول الله ﷺ من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قبض فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت إبهامه فتحركت فرجعت فسمعته يقول فى سجوده:

«**أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»، فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال: «**يا عائشة أظننت أن النبى ﷺ قد خاس بك** - أى غدر بك -؟» قلت لا والله يا رسول الله ولكننى ظننت أنك قد قبضت لطول سجودك فقال: «**أتدرين أى ليلة هذه**»؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال: «**هذه ليلة النصف من شعبان يتجلى الله فيها على عباده فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحق كما هم**».

---

(١) سورة البقرة: ١٥٠.

وإن نظرة واحدة إلى هذا الحديث ترينا كيف كان رسول الله ﷺ يحرص على الدعاء وبخاصة فى المواسم الكريمة، وفى وقت السحر، وقد غابت النجوم وبقى الحى القيوم ذلك لأن الدعاء مخ العبادة..

ومن أعظم الأسباب التى تحقق قدرة الله وإرادته كما أن بالدعاء تنجلى كربة المهموم وينتقم من الظالم للمظلوم وبه تنال الرغائب وتقضى المطالب وتتيسر الحاجات، وتقال العثرات وتغفر الذلات..

ومن جهة أخرى فإن فيه اعترافاً بضعف المخلوق وقدرة الخالق وعجز الإنسان أمام ربه القوى القادر الذى له ملك السماوات والأرض وما بينهما وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو وبيده خزائن الجود وملكوت كل شىء فهو وحده القادر على الإعطاء وكل من سواه محتاج إليه وفقير إلى إحسانه.. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد**﴾.

وقد قال النبى ﷺ: «**ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله**» أ.هـ.

قال بعض أهل العلم: «قرأت آيات من كتاب الله فاستغنيت به تعالى عن الناس، قرأت قوله تعالى: ﴿**وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو**﴾ فلم أسأل غيره كشف ضرى.

وقرأت قوله تعالى: ﴿**وإن يردك بخير فلا راد لفضله**﴾ فلم أر الخير والفضل إلا منه، وقرأت قوله تعالى: ﴿**وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها**﴾ فلم أطلب الرزق من أحد سواه..

فتوبوا إلى الله أيها الموحدون، وأخلصوا النية له يجركم من عذاب أليم.

* * *

الخطبة الثانية

إن الحمد لله.. يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لاراد لكلمته، ولامعقب لحكمه ،سبحانه سبحانه له الخلق والأمر وهو على كل شىء قدير..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قدر الآجال والأرزاق فلن تموت نفس حتى تستوفى رزقها كما تستوفى أجلها..

وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ خير من صلى وصام وعبد ربه حتى أتاه اليقين . .

فصلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين . .

أما بعد.. فيا أيها المؤمنون . .اتقوا الله حق تقاته . .

اتقوا الله وأكثروا الصيام فى شهر شعبان، اقتداء بنبيكم - ﷺ . .

واعلموا أن خير الدعاء ما دعت إليه الحاجة، ورفعت إليه الضرورة، وانبعث من القلب، وحاطه الإخلاص . .

وإن أرجى الدعاء إلى القبول ما كان عند السجود لرب العالمين . .

قال الله تعالى: **﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾**[1].

فعن عائشة رضى الله عنها قالت: «لم يكن النبى ﷺ يصوم من شهر أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان إلا قليلاً»[2]. أ هـ.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا من الدعاء»

اللهم إنا نسألك ربنا رب العالمين أن تصلح جميع أحوالنا . .

اللهم اغفر لنا ما مضى، وأصلح لنا ما بقى . .

اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى . . اللهم إنى أسألك علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً . .

يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لى شأنى كله، ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين، والطف بنا يا مولانا فيما جرت به المقادير . .

﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم﴾ .

***

(١) سورة النمل: ٦٢ .   (٢) رواه البخارى ومسلم.

٣ـ الميلاد

الحمد لله الذى جعل ميلاد الرسول ـ ﷺ ـ فضلاً ونعمة، وبعثه هدى ورحمة. .

أحمده سبحانه أن جعلنا خير أمة أخرجت للناس. .

وأشهد أن لا إله إلا الله القائل: **﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾**(١).

سبحانه: شرف الوجود الإنسانى بمولد سيد البشرية محمد ـ ﷺ ـ الذى أرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى ربه بإذنه وسراجاً منيراً. .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، رفع الله له ذكره، وأعلى قدره. .

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد صلاة تشرح صدور المؤمنين وتقر عيون المحبين وتذهب هم المحزونين. . . وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين. .

أما بعد..

قال الله تعالى:

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾(٢).

أيها المؤمنون:

فى بيت هادئ من بيوت مكة لاجلبة فيه ولا ضوضاء،وليس به مظهر من مظاهر الترف والثراء، ولدت آمنة بنت وهب طفلاً مات أبوه وهو جنين فى بطن أمه،فخرج إلى الدنيا يتيماً محروماً من حنان الأبوة،ولم تلبث أمه طويلاً حتى لحقت بأبيه فحرم أيضاً حنان الأمومة، ولكن عناية كبرى تولته،ويداً رحيمة من

---

(١) سورة الأحزاب: ٣١.   (٢) سورة التوبة: ١٢٨.

عالم الغيب حاطته، واستدار الزمان وبلغ الطفل مبلغ الرجال، بعد أن صنعه الله على عينه، فإذا باليتيم يصطفيه ربه لهدايته ويختصه برسالته، وينشر فى الدنيا إصلاحاً لم تسمع الإنسانية بمثله من قبل، ولا سبقه إليه أحد من القادة والمصلحين أو الأنبياء والمرسلين، فكان مولده قوة غيرت مجرى التاريخ، وقومت سير الحياة، ومكنت لقافلة الإصلاح أن تشق طريقها إلى الوجود فبلغ دعوة الحق إلى الخلق أجمعين، ونشر رسالة الرحمة فى العالمين..

ولد المصطفى - ﷺ - فى ربيع الأول من عام الفيل، فكانت ولادته بشير خير، ومطلع هداية ومشرق نور، ولا عجب فهو دعوة إبراهيم عليه السلام إذا دعا فقال:

﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾(1).

وينحدر من إسماعيل إلى كنانة إلى بنى قريش إلى بنى هاشم، طاهر العرق، كريم المنبت، طيب المنزع، شريف الأصل، اختاره الله من أطيب العناصر، وأشرف القبائل، فى الأصلاب الفاضلة، والأرحام الطاهرة، حتى كانت الساعة الفاصلة فى تاريخ الوجود، ساعة ميلاد الشريف، ولا شك أن كرم الأصل له أحسن الأثر فى سلوك المرء وخلقه وفى قوله وعمله.

أيها المؤمنون: لقد كانت قافلة الحياة قبل ميلاد الرسول حائرة السبيل، حائرة الدليل، فالعرب أشتات لا تجمع بينهم عقيدة صحيحة، ولا تؤلف بينهم كلمة جامعة، تتقاسم سيادتهم دولتا الفرس والرومان، فهداهم الله برسوله إلى صراط مستقيم، ووحد كلمتهم بحبله المتين، فإذا عبيد الشرك يحملون مشاعر التوحيد، وإذا المستضعفون فى الأرض سادة العالمين..

وصدق الله **﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾**(2).

---

(1) سورة البقرة: ١٢٩.

(2) سورة الأنفال: ٢٦.

أيها المؤمنون:

وكلما طلع هلال ربيع الأول كل عام هتف الهاتفون باسم سيد الورى، ونور الهدى، ورائد المجتمع الإنسانى إلى الخير والفلاح، وكأن الذكرى الخالدة التليدة هى البشرى المقبلة الجديدة، تبلى القرون ولا تبلى حدثها، وتفنى السنون ولا تفنى روعتها، وإنها لذكرى تشع منها أضواء تتلألأ من سيرة المصطفى وشمائله وهديه وفضائله، فهى مجموعة من المثل العليا فى مكارم الأخلاق، ومحامد الأفعال وجلائل الأعمال، والتاريخ أصدق شاهد على صبره ومثابرته وجده فى نشر رسالته، واحتماله الأذى فى سبيل دعوته، مع صدق وأمانة، وإقدام وشجاعة، وتواضع وسماحة، ولطف وسخاء، ورحمة ووفاء، حتى استأهل ثناء ربه عليه بقوله: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾[1].

لقد كرم الله نبيه - ﷺ - غاية التكريم فشرح صدره ورفع ذكره، وأعلى قدره، وقرن اسمه باسمه وطاعته بطاعته، قال الله عز وجل: ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾.

كما أن الله سبحانه وتعالى أوجب لهذا النبى العظيم التوقير والاحترام فأمر المؤمنين أن يغضوا أصواتهم عند رسول الله، كما نهاهم أن ينادوه كما ينادى بعضهم بعضاً، فقال تعالى:

﴿**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً**﴾.

كما أن الله قد أخذ العهد والميثاق على الأنبياء والرسل من قبله أن يؤمنوا به وأن ينصروه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق النبين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين**﴾ كما أن مظاهر تكريم الله لنبيه ﷺ أنه نادى كل نبى باسمه فى القرآن فقال: يا نوح، يا آدم، يا إبراهيم، على حين نادى نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ﴿**يا أيها المزمل**﴾، ﴿**يا أيها المدثر**﴾ ،﴿**يا أيها النبى**﴾ ،﴿**يا أيها الرسول**﴾.

---

(١) سورة القلم: ٤.

كما أعطى نبيه - ﷺ - خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء من قبله فقد نصره الله بالرعب مسيرة شهر، وجعل له الأرض مسجداً وطهوراً، وأحل له الغنائم، ولم تحل لأحد من قبله، وأعطاه الشفاعة العظمى، وأرسله إلى الناس كافة بينما كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة.

وهكذا كان تكريم الله لنبيه - ﷺ الذى شارك فيه الملأ الأعلى من ملائكة الله المقربين على نحو ما سجله القرآن الكريم فى قوله سبحانه:

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾.

- وفى هذه الآية لفت لأنظار المؤمنين إلى أن يشاركوا فى هذا التكريم حيث أن لهذا النبى العظيم فى عنق كل واحد منهم ديناً عليه أن يؤديه...

بل إن له على البشرية كلها والإنسانية جمعاء يداً ونعمة ينبغى أن نحفظها له وفاء وتكريماً.

وإذا كان كل يوم من أيام الإسلام الخالدة حسنة من حسنات هذا النبى العظيم، وكل حدث أفاد العالم عبر الأجيال والقرون إنما يرجع الفضل فيه إلى هذا الرسول الذى أسس الأمة الإسلامية وصنع تاريخها وأمجادها فإن ذلك يوجب على الناس جميعاً الوفاء لمن أحسن إليهم والتكريم لمن أخذ بأيديهم والمحبة الصادقة لمن كان الرحمة المهداة لهم بل وأن يبوئوه أعز مكان من قلوبهم وأن يؤثروه على أهليهم وأموالهم وأولادهم..

وهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ الذين عرفوا قدره حتى ليقول أحدهم وهو يخاطبه بأبى أنت وأمى يا رسول الله، ولقد كان بلال رضى الله عنه يعالج سكرات الموت وهو يقول: وا طرباه وا طرباه غداً ألقى الأحبة محمداً وصحبه..

هذا هو الحب الصادق الذى ملك قلوب الصحابة واستحوذ على مشاعر المسلمين الأولين لأنهم قد فطنوا إلى تلك الغاية النبيلة من قول رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».**

وإن هذا الحب العميق الذى يجب أن نملأ به قلوبنا نحو هذا النبى العظيم،

سيحملنا على أن نرطب ألسنتنا بذكره، ونعطر مجالسنا بالصلاة عليه، ونتخلق بأخلاقه ونستن بسنته، ونستجيب لما دعانا إليه..

أقول قولى هذا.. وأستغفر الله لى ولكم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين.. الذى اصطفى محمداً لرسالته، واجتباه لأمانته وتخير له مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، فكان معروفاً عند قومه بالصادق الأمين..

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له.بعث رسوله ليتمم مكارم الأخلاق، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه أصدق الناس حديثاً وأكثرهم أمانة وأقربهم إلى الله وأخشاهم لمولاه..

أما بعد..

فيا أيها المؤمنون.

إن خير ما تُحيى به ذكرى الرسول الكريم، أن نذكر ما تحلى به من مكارم الأخلاق، فيكون لنا فيه الأسوة الحسنة، والقدوة الطيبة، فنذكر ثباته الفريد حين تألبت عليه قوى الشر بالوعيد، لتنال من تصميمه وعزيمته، فقال لعمه أبى طالب: تلك الكلمة التى لا يزال صداها يرن فى سمع التاريخ:

«والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

ونذكر سخاءه وحنوه الرائع على أمته، فقد كان يعطى من يسأل،عطاء من لا يخشى الفقر، وقد لايجد عنده ما يعطيه، فيأذن للسائل بالاقتراض وعليه ﷺ الوفاء، وإنه لمقام فى التكافل الاجتماعى فوق مقام الأب من بنيه، والأخ من أخيه، والقائد من دونه، ويصور القرآن الكريم هذا المقام السامى أصدق تصوير بقوله:

﴿النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾[1].

بهذا نحيى ذكر مولده الشريف على وجه يرضى الله ورسوله.

ـ عن وائل بن الأسقع عن النبى ﷺ قال:

«**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم**» أ هـ.

اللهم إنا نسألك ربنا أن تجمعنا مع نبينا فى الفردوس الأعلى، وأن تسقنا من يده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبداً..

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك قريب مجيب الدعوات، مولانا رب العالمين..

إلهنا: هذا حالنا لا يخفى عليك، وهذا ذلنا ظاهر بين يديك، فعاملنا بالإحسان، إذا الفضل منك وإليك، واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

***

(١) سورة الأحزاب. : ٦ .

٤- إلى الجهاد

خطبة تلقى عندما يهاجم الأعداء الوطن

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونسترضيه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.. من يهد الله فهو المهتد.. ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً..

وأشهد أن لا إله إلا الله.. وحده لا شريك له فى سلطانه ولا مناوئ له فى علو شأنه..

العزيز الذى لا يغلب ولا يذل، والدائم فكل ما سواه زائل سبحانه الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم.. سبحانه الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد..

سبحانه كل يوم هو شأنه، يقبل تائباً ويعطى محروماً، ويغيث لهفاناً، ويفقر غنياً، ويغنى فقيراً، ويرحم مسكيناً ويعين عادلاً، ويهلك ظالماً، ويقسم جباراً، ويرفع أقواماً ويخفض آخرين، ما للعباد عليه حق واجب إن عذبوا فبعدله، وإن نعموا فبفضله وهو الكبير الواسع..

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمداً رسول الله.. ابتعثه الله رب العالمين رحمة للعالمين، وإماماً للأنبياء والمرسلين، وحجة للمرشدين، ومحجة للمسترشدين، وقامعاً للملحدين، ونقمة على الكافرين، صلى الله عليه النبى الأمى الذى علم المتعلمين، والرسول الذى بعث الأمل فى قلوب البائسين والهادى الذى قاد سفينة العالم الحائرة فى خضم المحيط ومعترك الأمواج إلى شاطئ الله رب العالمين..

سيدى رسول الله.. اللهم صل وسلم وبارك عليك..

اللهم صل على محمد فى الأولين، وصل على محمد فى الآخرين، وصل على محمد فى الملأ الأعلى إلى يوم الدين..

أما بعد..

فان أصدق الحديث كتاب الله عز وجل، وخير الهدى هدى محمد ﷺ،

وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار، وما قل وكفى، خير مما كثر وألهى، وإن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين..

ثم أما بعد..

قال الله تعالى :

﴿وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾[1].

وقال الله تعالى:

﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾[2].

أيها المؤمنون:

شرع الله الجهاد فى الإسلام لدفع العدوان، وتأميناً لعقيدة الإيمان، وحماية لحرية الأوطان، وصيانة لكرامة الإنسان، ورداً على معاداة الأعداء لنا بالقتال، ودرءً لخطر الاحتلال وما يترتب عليه من مهانة وإذلال، وقد اعتبر الإسلام سلامة العقيدة لحياة الإنسان، بل جعل الفتنة فى الدين والعقيدة أشد ضرراً على المجتمع من القتل.

قال تعالى: **﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل﴾**[3].

فالقتال فى الإسلام دفاع عن حرية العقيدة، لا هجوم على البلاد، وفتح للعقول المغلقة من الهوى، وقضاء على الفساد، وقد أمر الله بالصبر والمصابرة والمرابطة فى سبيل الدفاع وحراسة الثغور، وحماية الحدود، وحث على التقوى؛ لأنها طريق الفلاح فى الدنيا والآخرة قال الله تعالى:

﴿ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾[4].

وحسب المجاهدين شرفاً أنهم باعوا أنفسهم وأموالهم لله، وأنه سبحانه

---

(١) سورة البقرة. : ١٩٠

(٢) سورة البقرة. : ١٩٣ .

(٣) سورة البقرة. : ١٩١ .

(٤) آخر آية من سورة آل عمران.

اشتراها منهم بجنة عرضها السماوات والأرض، ونعيم مقيم، خير من الدنيا وما فيها . . قال الله تعالى:

﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾أ. هـ[1].

ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«لغدوة فى سبيل الله أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها» أ . هـ.

ولا تقل المرابطة فى سبيل الله لحراسة الحدود درجة عن القتال؛ لأنها تحول دون المباغتة بالعدوان.

ـ وعن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها» أ. هـ.

ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس فى سبيل الله».

وقد عرف المسلمون الأولون فضل الجهاد فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وكانوا يسارعون إلى ذلك، استجابة لأمر الله عز وجل، وتلبية لنداء الضمير موقنين أن الموت فى هذا السبيل حياة، وأن ما عند الله خير من الدنيا ومتاعها وزينتها وزخرفها.

قال تعالى: **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾**[2].

أيها المسلمون: إن الأمة لا تنال حريتها، ولا تصل إلى أهدافها، ولا تصون كرامتها إلا بالإيمان يملأ قلبها، ويضىء السبيل أمامها، ويهديها إلى طريق الفوز فى

---

(١) سورة آل عمران : ١٦٩، ١٧٠ .

(٢) سورة التوبة . : ١١١ .

جهادها، لتذود عن مبادئها وعقيدتها، وسيادتها واستقلالها، ولا يتم ذلك إلا إذا استكملت أسباب القوة، ووسائل الدفاع، فتسلحت بالإيمان والعلم والأخلاق الفاضلة، والتضامن والوحدة، وتذرعت بالعتاد والعدة، وتحصنت بالصبر والمصابرة، وقابلت الأحداث بالاحتمال والمثابرة، لتضمن النجاح فى النضال والكفاح، وتحيا قوية مرهوبة الجانب، يخشاها الطامعون، ويتحاشاها المتربصون، وهكذا كان الرسول ﷺ وأصحابه شجعاناً أشداء، أبطالاً أقوياء، أسوداً فى ميادين القتال، نساكاً عباداً بين يدى الله، كما وصفهم سبحانه بقوله: **﴿محمد رسول الله، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم فى وجوهم من أثر السجود﴾**[1].

وقد أمر الله المؤمنين بالعبادة والتقوى، ورتب على ذلك الفلاح، كما أمرهم فى الوقت نفسه بالجهاد والكفاح، وسمى ذلك تجارة تنجى من عذاب أليم، ورتب عليها غفران الذنوب، والنصر والفتح القريب فى الدار العاجلة، ودخول الجنة فى الدار الآجلة، قال الله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم﴾[2].

وقال جل شأنه: **﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله، وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم، ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار، ومساكن طيبة فى جنات عدن، ذلك الفوز العظيم، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب، وبشر المؤمنين﴾**[3].

أيها المؤمنون:

بالإيمان والإخلاص.. تنتصر الجيوش، اقرءوا تاريخ الأمة لتعلموا أن السلف الصالح والسابقين الأول قد انتصروا بإخلاصهم وإيمانهم بالله عز وجل لا بكثرتهم وعتادهم، ولنستعرض موقفاً واحداً...

---

(٢) آخر آية من سورة الفتح.
(٣) سورة الحج : ٧٧ ومابعدها.
(٣) سورة الصف: ١٠-١٣.

ـ لقد كتب خليفة رسول الله ﷺ إلى قائد الإسلام العظيم بالعراق ـ خالد بن الوليد ـ يأمره بالمسير إلى الشام، ليتولى القيادة العامة لجيوش المسلمين الأربعة، وهى على وشك الاشتباك مع الروم فى اليرموك.

وسار خالد مسرعاً فى تسعة آلاف من المجاهدين، فى طريق لم يسلكه أحد من قبل، قاطعاً الوديان، صاعداً الجبال، مخترقاً الفيافى والقفار، حتى وصل فى خمسة أيام، فدعا أمراء الألوية إلى الاتحاد، ونهاهم عن التفرق والاختلاف، وقام فيهم خطيباً، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

إن هذا يوم من أيام الله، لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى، أخلصوا جهادكم، وأريدوا الله بعملكم، وإن هذا يوم له ما بعده، لو رددناهم اليوم إلى خندقهم فلا نزال نرددهم، وإن هزمونا فلن نفلح بعدها أبداً، فتعالوا فلنتعاود الإمارة «نتداولها» فليكن عليها بعضنا اليوم، والآخر غداً، والآخر بعد غدٍ، حتى يتأمر كل منكم، ودعونى اليوم إليكم.

ولقد كان موقف خالد من أمراء الألوية موقفاً كريماً يدل على قدرته فى معالجة الأمور بلباقة، والوصول إلى هدفه بحكمة، فمع أن الخليفة حين أمره بالسير إلى الشام، ولاه إمارة جميع الألوية، وجعل جميع الأمراء تحت قيادته، فإنه لم يصارحهم بذلك حين اجتمعوا به، بل أخفاه عنهم ورغبتهم فى الاتحاد وبين لهم فوائده، ثم أشار عليهم بتناوب الإمارة يوماً بعد يوم، ثم سألهم أن يولوه القيادة فى اليوم الأول من المعركة، فوافقوه على رأيه وهم يظنون أن الأمر سيطول وهكذا تولى خالد إمارة الجيوش، عن رغبة من أمرائها، ورضا منهم، فكان ذلك أوعى إلى توثيق عرى وحدتهم، فضلاً عن تحقيقه فى النهاية لأمر خليفة رسول الله ﷺ..

وقبيل التقاء الجمعين، تقدم رجل من نصارى العرب فقال لخالد:

ـ ما أكثر الروم!!

ـ فأجابه سيف الله على الفور: ويلك! أبالروم تخوفنى؟؟ إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر برأ من توجعه، وأنهم أضعفوا فى العدد!! والأشقر هو اسم الفرس الذى خاض به خالد أشد

المعارك، لكنه أجهده الزحف الشاق فاضطر أن يستبدله بغيره.

وهكذا أيها العباد فإن النصر إنما يكون بالإخلاص والإيمان لا بالعتاد والكثرة والسلاح، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

* * *

الخطبة الثانية

إن الحمد لله.. وحده.. وأشهد أن لا إله إلا الله..

وأشهد أن محمداً رسول الله.. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين..

أما بعد..

فيا أيها المؤمنون:

إن دعائم الجهاد الصحيح ثلاث: الجهاد بالنفس، والجهاد بالمال، والجهاد باللسان، فإن بذل المال لا يقل أهمية عن تضحية النفس، بل إن القرآن الكريم كثيراً ما يقدم التضحية بالمال فى الذكر، عند الحث على الجهاد فى سبيل الله. قال الله تعالى:

﴿انفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾(١).

وقال عز من قائل: **﴿لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم﴾**(٢).

فالمال عصب الحياة فى مهام الأمور، وعليه يتوقف إعداد العدة، وإمداد الجنود المحاربين ومن وراءهم بالكسوة والقوت، أما اللسان فهو وسيلة الدعاية والدعاية أهم وسائل الإعلان لنصر الحق، وإزهاق الباطل، وصدق القائل: وإن الحرب أولها الكلام.

فكم من أمة كسبت عطف العالم ومؤازرته، بالدعاية لقضيتها فى السلم والحرب على السواء.

---

(١) سورة التوبة: ٤١.

(٢) سورة النساء: ٩٥.

فاتقوا الله عباد الله. والتزموا حدود الدين، فيما رسم لكم من معالم الجهاد، وحافظوا على تراثكم المجيد، ومجدكم العظيم الذى ورثتموه عن أسلافكم، وأعدوا ليومكم وغدكم ما استطعتم من قوة، تؤيدون بها حقكم، وترهبون بها عدو الله وعدوكم، وتزودون بها عن أمتكم وبلادكم، وانسوا فى سبيل الله والوطن أشخاصكم: **﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾**[1].

- عن أنس رضى الله عنه، أن النبى ﷺ قال: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**».

اللهم إنا نسألك ربنا أن تنصرنا على أعدائنا - أعداء الله - وأن تجعل لنا من كل ضيق مخرجاً.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأعل بفضلك كلمتى الحق والدين..

اللهم من أرادنا والإسلام بخير فوفقه لكل خير، ومن أرادنا والإسلام بشر فخذه أخذ عزيز مقتدر، فإنه لا يعز عليك..

عباد الله:

﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾.

* * *

(١) سورة الأنفال: ٤٦.



ثالثاً

خطب العيدين

١ـ خطبة لعيد الفطر .

٢ـ خطبة لعيد الأضحى .

١ ـ خطبة لعيد الفطر

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ما تعاقب الليل والنهار وأحسن المؤمن النظر والاعتبار، وعرف أنه بين ماض يستودعه ربه وبين حاضر يرغب فى خيره، وبين مستقبل يرجو نفعه.

الله أكبر.. ما أحسن المؤمن الظن بالله، الذى لا تضيع عنده الودائع الصالحة

﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[1].

الله أكبر... ما أبصر المؤمن الحقيقة البادية، فى آيات الله الهاوية، وأيقن أن طبائع الأشياء لا تتحول، وأن حقائق الأمور لا تتبدل، سبحانه سخر الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار..

الله أكبر... ما أعد المؤمن نفسه للرسالة التى من أجلها خلق، وبها ارتبط، ولها عاش، رسالة الإيمان فلا يكفر، والهدى فلا يضل، والصلاح فلا يزيغ، والإصلاح فلا يفسد.

الله أكبر... ما التمس فى الإيمان حماية من الفراغ الروحى، وفى العمل الصالح ضماناً من الفراغ الجسمى، وفى الهدى أمانا من الضلال العقلى، واعتصم بالفضائل، وابتعد عن الرذائل.

الله أكبر... ما أحسن المؤمن بالرضا يغمره، والارتياح يشمله، بعد أن فرغ من جهاد شهر الصيام والقيام، وقراءة القرآن، فزكى نفسه، وقوم سلوكه، واستقبل العيد مع إخوانه **﴿يستبشرون بنعمة من الله وفضل، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾**[2].

ربنا لك الحمد، ومنك النعمة، ولك الفضل، نسبح بحمدك، ونقدس لك، لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، نسألك من كريم صلواتك، وبالملأ الأعلى من ملائكتك، وبطيب تسليمك على نبى الرحمة، وهادى الأمة، جميل كرامتك لهذه الأمة التى صامت بأمرك، وأفطرت بإذنك، فأمسكت عن

---

(١) سورة النحل : ٩٧ .

(٢) سورة آل عمران : ١٧١ .

الطعام وهو بين يديها، وعن الشراب وهو لديها، وعن الشهوة ابتغاء مرضاتك، وقد أصبحت اليوم تحمدك على نعمتك، وتكبرك على هدايتك، وتشكرك على آلائك . .

الحمد لله رب العالمين.

ونشهد أن لا إله إلا الله، الملك الحق المبين.

ونشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الصادق الوعد الأمين . .

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه أجمعين . .

أما بعد..

فيا أيها المؤمنون: لما هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، وجد الأنصار ذات يوم فى لهو ولعب، فقال: «**ما هذا؟**» فقالوا: يا رسول الله إن لنا يومين كنا نلهو فيها ونلعب فى الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله أبدلكما خيراً منها، عيد الفطر، وعيد الأضحى**».

حكمة بالغة فى علاج العادات الهازلة اللاهية، بإحلال العبادات الجادة النافعة محلها، مع الاحتفاظ بطابع السرور، ورباط المودة بين الناس، فعيد الفطر يوم يفرح فيه المسلمون بإتمام الصيام، وفيه يخرجون إلى الصلاة فى حلة جديدة، تحدثاً بنعمة الله، يتصدقون على الفقراء والمحتاجين، يجتمعون لصلاة العيد، واستماع الوعظ، بعد أن تلقوا من الصيام درساً ملأ نفوسهم بالخشية والإخلاص والرحمة، ولين قلوبهم بالإحسان، وأيديهم بالصدقة، ثم يتبادلون بالتهانى، مبتهلين إلى الله أن يحقق لهم الآمال والأمانى . .

وهو سرور عام بين جميع الذين يدينون بالإسلام، فى أى أرض أقاموا، وبأى لسان تكلموا، شعور شامل يوحد بينهم فى الهدف المشترك، والأحاسيس المتجاوبة، وهكذا يردد الإسلام شؤون الأعياد والمواسم،فينظم طريق الحفاوة بها . .

أيها المؤمنون:

لقد قال الله تعالى فى كتابه ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾.

فهل تأثرنا بعد رمضان سيكون كما كان العهد بنا فى رمضان؟

ينبغى علينا ـ عباد الله ـ أن نحمد الله سبحانه وتعالى، إذ يسر لنا صيام رمضان، فإن الرسول ـ ﷺ قال: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**».

والخسارة كل الخسارة، بل الخيبة والندامة، لمن ظهر الشيب فى رأسه وهو يفطر رمضان، فإن النبى ﷺ قال: «**رغم أنف امرئ أدرك رمضان فلم يغفر له**»

فرغم أنف: تعنى التصاق الأنف بالتراب فيصبح ذليلاً حقيراً لا قيمة له...

فالعبادة تبعث فيك الشجاعة والكرم والإيمان بالله عز وجل..

أيها المؤمنون:

فى الحديث «**من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر كله**» أ. هـ.

فهذا خير كثير.. لأن المسلم إذا صام ستاً من شوال يحاسب كأيام رمضان أى أن صيام اليوم بعشرة فيكون المجموع ستة وثلاثون يوماً أى ثلاثمائة وستون يوماً هو عدد أيام العام..

فاتقوا الله عباد الله واستجيبوا لله وللرسول:

﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون. واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب. واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾[1].

فاتقوا الله عباد الله، واهتموا فى العيد بتحقيق وحدتكم المجيدة، والتمكين لإخوتكم السعيدة، فوق ما تهتمون بملابسكم الجديدة، وأخرجوا زكاة فطركم لمستحقيها، لتنشروا السرور والفرح بيوم العيد، وأعفوهم عن ذل السؤال فى هذا اليوم السعيد..

---

(١) سورة الأنفال: ٢٤ـ٢٦.

ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

«فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات» أ.هـ.

ـ وعن جابر الجعفى قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا: اغدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير، ثم يثيب عليه الجزيل، فقد أمرتم بقيام الليل فقمتم، وأمرتم بصيام النهار فصمتم، وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم، فإذا صلوا نادى مناد، ألا إن ربكم قد غفر لكم، فارجعوا راشدين إلى رحالكم، فهذا يوم الجائزة»، ويسمى ذلك اليوم فى السماء: يوم الجائزة..

أسأل الله رب العالمين أن يعيد علينا رمضان أعواماً مديدة، وسنوات عديدة، وأن يتقبله منا.

تقبل الله منى ومنكم.

***

٢ـ خطبة لعيد الأضحى

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر..

الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله العظيم بكرة وأصيلاً.. لا إله إلا الله... الله أكبر، سجدت الجباه لعظمته، الله أكبر، خلق الكون بقدرته، الله أكبر، دبر الأمر بحكمته، الله أكبر، يحكم ولا معقب لحكمه، الله أكبر، يريد الخير ولا راد لفضله، الله أكبر يعلم الخفايا ولا حدود لعلمه.

الله أكبر، ينصر من نصره، الله أكبر، يذكر من ذكره، الله أكبر، يضاعف الفضل لمن يشكره.

سبحانك جمعت القلوب على الحق بحكمتك، وطويت الوجود فى يديك بقدرتك، ووسعت كل شىء بعلمك ورحمتك..

لك الحمد والشكر، ولك الخلق والأمر.. ولك الفضل والمنة.. يارب العالمين.

سبحانك تخلق ما تشاء وتختار، سبحانك أنت الواحد القهار، سبحانك سبحانك آناء الليل وأطراف النهار.

نحمدك حمد المؤمنين الموقنين، ونشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ونصلى ونسلم على صفوتك من خلقك، النبى العربى الأمين.. صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

فهذا يوم عيد.. يوم يجتمع فيه العباد يهنئون بعضهم بعضاً..

أراد الشارع الحكيم له أن يكون يوماً من أيام الفرح والسرور حتى أنه رسم معالمه ومعالم الفرحة فيه، وبث فيه معنى روحياً واجتماعياً سامياً، يربط الغنى بالفقير، والكبير بالصغير، والحاكم بالمحكوم والإمام بالمأموم..

أما المعنى فمظهره التكبير، والصفوف المنتظمة فى الصلوات، وما يستمعون من عظات بينات.

وأما المعنى الروحى الاجتماعى فمظهره زكاة الفطر التى فرضها رسول الله

على كل مسلم، والتزاور بين الأصدقاء والأقرباء والجيران وسائر المسلمين، والبهجة والسرور والمرح الكريم، واللهو البرىء مما يبعث فى النفوس نشاطاً يعينها على العمل النافع.

والعيد فى هذه الصورة التى حدد الإسلام معالمها، ورسم حدودها، هو فرصة لإبراز إحساسهم بعضهم نحو بعض، وانعطافهم إلى بعض، وهو المظهر لوحدتهم الجامعة، وأخوتهم الوثيقة، قال تعالى: **﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾**[1].

ولقد عرف المخلصون من أبناء الإسلام أن لا رجاء لهم فى خير، ولا أمل لهم فى عزة ونصر، إلا فى ظلال الوحدة الصادقة، وحدة الهدف وإن تعددت الديار وتباعدت الأقطار.

ورسم القرآن الكريم طريق هذه الوحدة، وحدد مفاهيمها الحاسمة، وحذر من الفرقة وبين عواقبها ونتائجها، فقد قرر أن الوحدة ليست طريق الحياة السعيدة فحسب، بل هى الحياة والبقاء، وأن الفرقة ليست سبيل الفشل فقط، بل هى الموت والفناء..

أيها المؤمنون: هذا يوم عيد.. هذا يوم يجتمع فيه الحجيج لذبح الهدايا، ويشاركهم المسلمون فى جميع بقاع الأرض بذبح الضحايا..

هذا يوم يهتف فيه الحجيج بالتكبير عند رمى الجمرات، ويشاركهم سائر المسلمين، بالتكبير عقب الصلوات..

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد..

الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرين..

هذا هتاف التوحيد والنصر والتمجيد، والود والتعاطف، والاغتباط والسرور والحج المبرور، والعمل المشكور، هذا هو اليوم التالى لمؤتمر الحجيج العام، الذى يعقد فى الأماكن المقدسة كل عام، بعد أن عقدوا بالأمس المؤتمر الأول فى عرفات، تحقيقاً لقول الله تعالى: **﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم**

---

(١) سورة الأنبياء: ٩٢.

ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق﴾[1].

هذا موسم البر بالفقراء، لا موسم الولائم تقام للأغنياء، هذا موسم الوفاء بالنذر الوثيق، ومتعة الطواف بالبيت العتيق، الذى جعله الله للناس جميعاً سواء العاكف فيه والباد، وجعله حرما آمنا لسائر العباد.

ويذكر التاريخ أن نبى الإسلام أعلن هناك فى حجة الوداع حقوق الإنسان حيث قال: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام كحرمة يومكم هذا، فى شهركم هذا**» أ. هـ.

وقرر المساواة حيث قال: «**لا فضل لعربى على أعجمى، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى**» فقضى بذلك على التفرقة العنصرية التى لا تزال بعض الدول تمارسها حتى اليوم..

أيها المؤمنون: اذكروا أن هذا اليوم يوم التضحية والفداء، الذى ابتلى الله فيه خليله، إبراهيم أى ابتلاء، حيث أراه فى المنام أن يذبح ولده إسماعيل، فأطاع الوالد والولد أمر الرب الجليل، وكان عاقبة ذلك فداء الولد بذبح عظيم، والثناء على الوالد ثناء خالداً فى الآخرين، وتبشيره بولده إسحاق نبياً من الصالحين، وفى ذلك يقول الله سبحانه:

﴿وقال إنى ذاهب إلى رب سيهدين، رب هب لى من الصالحين، فبشرناه بغلام حليم، فلما بلغ معه السعى قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى، قال: يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين، فلما أسلما وتله للجبين، وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين، إن هذا لهو البلاء المبين، وفديناه بذبح عظيم، وتركنا عليه فى الآخرين، سلام على إبراهيم، كذلك نجزى المحسنين، إنه من عبادنا المؤمنين، وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾[2].

أيها المؤمنون: أحباب الحبيب المصطفى محمد..

خذوا العبرة من هذه القصة مثلاً حياً يواجه قوماً يعبدون شهواتهم، لعلهم يذكرون والداً شيخاً كبيراً ابتلى بذبح وحيده، فامتثل أمر ربه، ويذكرون ولداً فى مقتبل العمر، وطموح الأمل، ونضرة الصبا، يضحى بحياته، طاعة لله، وبراً بوالده، فتوهب له الحياة، ويرضى بالفناء، ويخلد له الثناء..

---

(١) سورة الحج: ٢٢، ٢٩.

(٢) سورة الصافات: ٩٩ - ١١٢.

قال الله تعالى: ﴿**واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند الله مرضياً**﴾[1].

فليست التضحية مجرد دم يراق، وإنما التضحية أن تقصد بعملك وجه الله دون نفسك وهواك.

﴿**لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم**﴾[2].

وقد ندب الإسلام إلى أن نهدى من الأضحية الأصدقاء، ونصل الرحم والفقراء ولنحقق المودة والتراحم فى هذا اليوم العظيم..

فاتقوا الله عباد الله وتأملوا حكم الله فى فرائضه، واستشعروا أسراره فى شعائره، وتدبروا قول الله تعالى: ﴿**ولكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد، فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**﴾[1].

- عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ

«**إن أول ما نبدأ به فى يومنا هذا أن نصلى، ثم ننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن نحر قبل الصلاة فإنما هو طعام قدمه لأهله، ليس من النسك فى شىء**» أ.هـ.

- وعن زيد بن أرقم، قال أصحاب رسول الله ﷺ يا رسول الله ما هذه الأضاحى؟ قال: «**سنة أبيكم إبراهيم - صلوات الله عليه وسلامه -**» قالوا: فما لنا فيها يا رسول الله؟ قال: «**بكل شعرة من الصوف حسنة**» أ.هـ.

اللهم إنا نسألك ربنا أن تدخلنا جنتك برحمتك، ولا تؤاخذنا بذنوبنا، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، واغفر لنا ولوالدينا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان وتقبل الله منى ومنكم.

***

(١) سورة مريم ٥٤ ، ٥٥ .　　(٢) سورة الحج : ٣٧ .　　(٣) سورة الحج: ٣٤، ٣٥.



رابعاً

خطبة عند القبر

١ـ خطبة أولى .

٢ـ خطبة ثانية .

١ـ خطبة أولى

إن الحمد لله . . الذى قصم بالموت رقاب الجبابرة

وأشهد أن لا إله إلا الله، الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله: خير من استعد ليوم المعاد، وعمل لما بعد الموت، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه أجمعين . .

أما بعد ..

أيها المؤمنون :

ليست هناك تذكرة تنطق بلسان حالها أبلغ من هذه التذكرة، وليست هناك موعظة أنفع من هذه الموعظة . .

فهذا أخوكم كان معكم بالأمس يحكى ويسرد يحلم ويتمنى، يتكلم ويناقش معكم أمور دنياكم وآخرتكم . . وفجأة هاجته سكرات الموت . . فسكت اللسان، وانتهت الأحلام، وتجمدت الأعضاء عن الحركة . .

لكن الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما، وتبدل حال، وانتقال من دار إلى دار . .

والموت من أعظم المصائب، لذا فقد سماه الله تعالى فى كتابه مصيبة، فقال

﴿فأصابتكم مصيبة الموت﴾ فالموت هو المصيبة العظمى، والرزية الكبرى . .

لكن أعظم منه الغفلة عنه، والإعراض عن ذكره، وقلة التفكر فيه، وترك العمل له، وإن فيه وحدة لعبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر . .

يروى عن النبى ﷺ أنه قال:

«**لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سميناً**» أ . هـ.

ـ ويروى أن أعرابيا كان يسير على جمل له فخر الجمل ميتاً، فنزل الأعرابى عنه وجعل يطوف به ويتفكر فيه ويقول: ما لك لا تقوم؟ ما لك لا تنبعث، هذه أعضاؤك كاملة، وجوارحك سالمة، ما شأنك؟ ما الذى كان يحملك؟ ما الذى كان

يبعثك؟ ما الذى صرخك؟ ما الذى عن الحركة منعك، ثم تركه وانصرف متفكراً فى شأنه، متعجباً من أمره.

أيها الناس.. أكثروا من ذكر الموت.. فإن الموت هادم اللذات..

- فقد روى ابن ماجه عن ابن عمر أنه قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ فجاء رجل من الأنصار فسلم على النبى ﷺ فقال يا رسول الله: أى المؤمنين أفضل؟ قال: «**أحسنهم خلقاً**» قال: فأى المؤمنين أكيس؟ قال: «**أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم له بعدهم استعداداً أولئك الأكياس**».

نعم.. فإن من ذكر الموت حقيقة ذكره نغص عليه لذته الحاضرة، ومنعه من تمينها من المستقبل وزهده فيما كان منها يؤمل، ولكن النفوس الراكدة، والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعاظ، وتزويق الألفاظ، وإلا ففى قوله ﷺ «**أكثروا ذكر هادم اللذات**» مع قوله تعالى: ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾ ما يكفى السامع له، ويشغل الناظر فيه..

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات.

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته	يبقى الإله ويودى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه	والخلد قد حاولت مما فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح له	والأنس والجن فيما بينها ترد
أين الملوك التى كانت لعزتها	من كل أدب إليها ووافد يفد؟
حوض هناك مورود بلا كذب	لابد من ورده يوماً كما وردوا

أيها الناس..

استعدوا للرحيل قبل الرحيل، وأخلصوا العمل لله قبل يوم الحساب، فهل سمعتم بأحد آخر فلم يمت.. لأننا كلنا إلى الموت قادمون، وإلى الله وافدون وأمامه واقفون.. يعدد علينا أعمالنا.. ويذكرنا أفعالنا.. وقد دنت الشمس من الرءوس.. فاتقوا الله.. وادعوا لأخيكم فأنه الآن يسأل..

***

خطبة ثانية

إن الحمد لله . . الملك القهار . .

وأشهد أن لا إله إلا الله : العزيز الغفار

وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله . . النبى المختار . .

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . .

أما بعد..

أيها الناس . . إن الله قد كتب على الناس كلهم الفناء، وقضى على نفسه البقاء فقال: **﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾**.

وقال : **﴿تبارك الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾** . .

والناس يعلمون هذا جيداً، لكن تمنعهم شهواتهم وهواهم وزينة دنياهم من التفكر فى أحوال الموت وفى زوال الدنيا . . ولو أحسنوا التفكر لأحسنوا العمل له . .

أيها الناس: اعلموا أن الموت وذكره يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية، والتوجه فى كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية، ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالتى ضيعة وسعة، ونعمة ومحنة، فإن كان فى حال ضيق ومحنة، فذكر الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه فإنه لا يدوم، والموت أصعب فيه، أو فى حال نعمة وسعة فذكر الموت يمنعه من الاغترار بها، والسكون إليها لقطعه عنها . .

وقد أجمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلوم، ولا زمن معلوم، ولا مرض معلوم، وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك، مستعداً لذلك، وكان بعض الصالحين ينادى بليل على سور المدينة، الرحيل: الرحيل، فلما توفى فقد صوته أمير المؤمنين فسأله عنه، فقيل: إنه قد مات فقال:

مازال يلهج بالرحيل وذكره   حتى أناخ ببابه الجمـــــال

فأصابه متيقظاً متشمـــــــراً   ذا أهـبة لن تلهمه الآمال

وكان يزيد الرقاشى يقول لنفسه: ويحك يا يزيد، من ذا يصلى عنك بعد الموت؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يترضى عنك بعد الموت؟ ثم يقول:

أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقى حياتكم؟ من الموت طالبه والقبر بيته، والتراب فراشه، والدود أنيسه، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر كيف يكون حاله، ثم يبكى حتى يسقط مغشياً عليه.

قال الدقاق: من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء تسويف التوبة، وترك الرضى بالكفاف، والتكاسل فى العبادة.

فتفكر يا مغرور فى الموت وسكونه، وصعوبة كأسه ومرارته، فيا للموت من وعد ما أصدقه، ومن حاكم ما أعدله، كفى بالموت مقرحاً للقلوب، ومبكياً للعيون، ومفرقاً للجماعات، وهادماً للذات، وقاطعاً للأمنيات، فهل تفكرت يا ابن آدم فى يوم مصرعك، وانتقالك من موضعك، وإذا نقلت من سعة إلى ضيق، وخانك الصاحب والرفيق، وهجرك الأخ والصديق، وأخذت من فراشك وغطائك إلى عرر وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر، فيا جامع المال، والمجتهد فى البنيان ليس لك والله من مال إلا الأكفان، بل هى والله للخراب والذهاب وجسمك للتراب والمآب، فأين الذى جمعته من المال؟ فهل أنقذك من الأهوال؟ كلا بل تركته إلى من لا يحمدك، وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك..

أيها الناس.. روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه خرج إلى المقبرة فلما أشرف عليها قال: ما أجمل القبور أخبرونا عنكم، أو نخبركم، أما خبر من قبلنا، فالمال قد اقتسم، والنساء قد تزوجن، والمساكن قد سكنها قوم غيركم، ثم قال: أما والله لو استطاعوا لقالوا: لم نر زاداً خيراً من التقوى..

فاتقوا الله أيها الناس، واستعدوا للآخرة، فهذه القبور أمامكم، لم يتكلم سكانها ولم يعودوا إلى الدنيا لعلهم يعملون، فأحسنوا العمل وأخلصوا النية لله عز وجل.. يجركم من عذاب أليم، وتفوزوا برضوانه..

اللهم إنا نسألك ربنا أن تغفر لأخينا هذا، اللهم ثبته عند السؤال، اللهم أفسح له فى قبره، وأبدله داراً خيراً من داره وولداً خير من ولده، اللهم اغفر له وارحمه.

أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم.

***

الفهرست